

أ. د. عقيل حسين عقيل

# البستان الحلم

# -1-

في لحظة الانفجار العظيم كان الامتداد وبُسطت الأرض كسجل مفتوح لبداية المعرفة ولوَّنت بطبيعتها فكان البستان الجميل الذي حدثني عنه أبي حين قال: ما أجمل البستان الذي حُلِّقْتُ فيه أنا وأمك وما أجمل الأخلاق بيننا لولا جارنا الذي أغوانا، بستاننا فيه كل شيء إلا القمامة والطمع لم يكونا فيه. أرضه مزدانة، وأنهاره من العسل المسكي ومياهه لذة للشاربين، ومناظره خلابة كعيني أمك الحَوَراوِين ولا حديث في بستاننا إلا سلاماً سلاماً، ولهذا اعترف الجميع لنا بحسن تقويمنا وسجدوا لي إلا الذي أغوانا بثمار تلك الشجرة أبي واستكبر. وعليه يا بني إذا أردت أن تكون من أصحاب البستان فلا تكن من الطامعين حتى لا يحدث لك ما حدث معنا، فعندما طمعنا فقدنا كل شيء في البستان الذي لا مكان فيه للطامعين، ولهذا أوصيك.. أوصيك.. وانهمر بالبكاء. وفي الوقت ذاته شاهدت أمي تنهمر هي الأخرى بالبكاء وتقول بتلعثم لعن الله من كان السبب.

أتقصدين الطمع يا أمي.

والذي أغوانا؟

وسألته: هل هبط معكما أجدادي حين هبوطكما؟

لا أجداد لك يا بني.

فنظرت إليها باستغراب قائلاً: هكذا أنتِ وأبي!

لا تنزعج، أنت ابن الأصول، فالتراب هو أبونا وأمنا.

وأنا أيضاً.

لا، أنت من نطفة، ونحن من طين والأصل واحد.

حينها عرفت أهمية التمسك بالتراب الذي لولاه ما كان البستان وما كنا، وحينها عرفت اختلاف ألواننا مع أن أبانا واحد وأمنا واحدة، عرفته لأنهما المخلوقان من الطين اللازب الذي يتكون من جميع العناصر والألوان مما جعل ظهور بعضها عند بعضنا أكثر أو أقل، وهكذا كنا بيضاً وسوداً وصفراً وحمراً وما بيننا من تداخل في الألوان.

واستمرت أمي في الحديث والحسرة تملؤها، هكذا طردنا يا بني من أجمل بستان، ويوم أن طردنا ضعت من أبيك وضاع أبوك مني، ولأول مرة أعرف الخوف بعد أن عرفت الوحدة والظلمة، لقد كنا في بستان لا برد فيه ولا حر ولا عواصف ولا كوارث ولا كافرين بنعمة الله، ما أجملك أيها البستان ما أجملك.

هل ذلك البستان كبير يا أمي؟

عرض السماوات والأرض.

إذن يستوعبني وبستاني.

نعم عندما تصلح نفسك وبستانك يستوعبكما ويستوعب الآخرين الذين تعلمهم والذين لا تعلمهم.

كم أتمنى يا أمي الفسحة في ذلك البستان العظيم وبستاني معي.

لا حاجة لك يا بني إلى بستانك هناك.

كيف وأنا لا أستطيع فراقه؟

يبدو أنك تحبه كثيراً.

جدا ولن أستطيع التخلي عنه.

هل تستطيع وصفه يا بني؟

كيف لا والشوق يملؤني بذلك، عندما يبتسم بستاني يا أمي كالفجر تصحو معه كل العصافير وتشقشق لمن يريد أن يصحو ويعمل بحب، وكم أتمنى الفجر يطول لتطول معه شقشقة العصافير من أجل أن يستمر الحب،

وبحمد الله يولد الفجر كل يوم من أيامنا كما تتوالد أمواج البحر وهي تُقبل  
اليابسة بشوقٍ وحبٍ، كم أحبك يا فجر لأنك بسمة بستاني الذي يروي اليابسة  
كلما قبلها.

تنبع من بستاني عيان جميلتان كاللؤلؤتين تجيدان الحديث بعمقٍ  
عندما يعجز اللسان عن النطق بكلمات حبٍ، وما أحلى حديثهما عندما تنبع  
مياههما من قلب الينبوع. والعمق الذي في بستاني دائماً ينقلني من المشاهد  
إلى المجرد وذلك لأن الجمال لا يشاهد بل الذي يشاهد هو الجميل، ولهذا  
عندما أشاهد بستاني ألاحظ الجمال فيه ظاهراً وخفياً، ظاهراً في الصورة.  
وخفياً في العمق، ومنهما انتقلت إلى التعرف على الجميل الذي كان وراء  
وجودهما وهو المجرد الأكبر الذي يلاحظ ولا يشاهد والذي لولاه ما عرفنا  
الجمال، ولو لم يكن هناك جميل مجرد ما كان الجمال فينا ولا بيننا،  
وقاطعتني أمي بسؤالها: هل تتحدث يا بني عن عمقك أم تتحدث عن عمق  
بستانك؟

بالطبع أتحدث عن عمق بستاني.

لا والله، بل تتحدث عن عمقك والبستان فيك.

كيف وأنا الذي أجلس تحت ظلال أشجاره وأرتوي من نبعه وأروي  
جداوله بين الحين والآخر لتتفتق أزهاره وتينع أعنابه ورمانه وزيتونه ونخله  
وتينه، وأجني ثماره كلما نضجت.

ولهذا قلت لك أنت أعمق من بستانك.

لم أفهم.

ألم تتحدث عن المشاهد والمجرد؟

نعم.

والله لو لم يملأك المجرد ما أحببت بستانك كما أنت تحب.

ثم طلبت مني أمي أن أصف لها لون بستاني.

ألوان طيف، ومكوناته ستة عشر عنصراً وأكثرها الأكسجين، ولهذا  
عندما أكون في بستاني لا أختنق ولا أملُّ التنزه فيه.

بما أن الأمر قد وصل بك إلى هذه الدرجة فلماذا لا تتركني وشأني  
وتعود مسرعاً إلى بستانك الجميل كما تقول.

بستاني معي.

أين هو؟ وكأنك تصفني بفاقة النظر...

هل ترين قلبي يا أمي؟

لا.

هل تعتقدين أنني الآن بدونه؟

لا.

هكذا ستكونين معي عندما أعود إلى أرض بستاني يا ثانية حبيبتين  
عندي.

ومن هي التي قلبي؟

المجرد العظيم الذي تحدثنا عنه وجعل الحب بيننا والجمال فينا والذي  
يرعانا في يومنا وغدنا.

إذن هكذا أنت حبيبي الثالث.

ومن هو حبيبك الثاني؟

ألم تعرف؟

لا.

أبوك. وأنا أحمد الله على ذلك.

سألتني وأنت من حبيبك الثالث؟

بستاني.

إذن أخوتك هم حبك الرابع.

لا، أنهم هم الذين ألتقي معهم في الحب الثاني.

لم أفهم بعد!

بما أنك وأبي حبي الثاني، الا تكونان هكذا بالنسبة إلى أخوتي أبناء أمي وأبي.

نعم، الآن فهمت أنت وأخوتك يجمعكم الحب الثاني.

بستاني وديع يملؤه الورد والزنبق، ولهذا لا أخاف فيه، بل أخاف عليه من الذين لا يمدون العيون إلى رياضه ويمدون الأصابع إلى ثماره.

أديمه كالإسفنج، ونفسه طيب، والحياة فيه سكيينة، فكلما غمرته بالود غمرني بالدفء.

في وسط بستاني بحيرة عميقة، وطفولة تملؤها البسمات والبراءة، فعندما أريد أن أتفقد بستاني أركب القارب وأقضي يوماً كاملاً في بحيرته الدافئة الهادئة والأطفال معي يمرحون على طبيعتهم وبغفوية تامة يغنون ويرقصون، وكلما أقترب القارب من ضفاف البحيرة يتلامس الأطفال وأنا معهم مع الوز العائم في البحيرة، وتختلط أصوات الأطفال والوز وكأنها حفلة عيد الأم والأب والطفل، وعندما تستمر الرحلة في وسط البحيرة تلاحظين الهدوء التام الذي يكاد ينطق من صمته، وعندما ننظر من عمق البحيرة إلى ضفافها يميناً وشمالاً أحس بنفسي وكأنني في أحضان حبيبتني. وحالما سمعت أمي كلمة حبيبتني سألتني على الفور: ومن تكون حبيبتك هذه؟ حبيبتني بستاني.

أوصيك يا بني إذا أردت البقاء في بستانك فلا تأكل من تلك الشجرة.

لا أعني بستان المستقبل العظيم، بل أعني بستان الحاضر الجميل.

ومن حدثك عن بستان المستقبل يا بني؟

حبيبي الأول.

ولكي أصدقك فبأي لسان حدثك؟

بلسان محمد ﷺ .

صممت برهة وصاحت بأعلى صوتها والفرحة تملؤها: وكأنك تتحدث عن دولتنا، دولة آدم الذي نبأ الجميع بأسمائهم ونبأنا عن محمد الذي كان بالنسبة إلينا في المستقبل.

الحمد لله.

ومع ذلك إن أباكم الذي سجدت له الملائكة غاضب عليكم.

استغفر الله، ماذا فعلنا؟

ها هو أبوك يحدثك في هذا الأمر، فقال أبي لأمي: أنظري إلى أصابعك هل هي متساوية؟

لا ليست متساوية.

إذن من العيب التعميم. فحمدت الله على هذا الاستثناء، وطلبت من أبي التبيان.

يا بني ألم تعلم أنني أعلم جميع الأسماء وهذه أسرار لم يعلمها غيري؟ قلت نعم، فقال لعن الله دارون ومن أتبعه، قلت في نفسي الحمد لله لم أكن منهم، واستمر أبونا في الحديث يقول: وهو في حالة غضب، أنه من الغرابة أن يصف الإنسان أمه وأباه وأجداده الأبرار بالحيوان القردي، ويا بني اسأل أخوتك جميعهم لو كنتُ وأمك قردين كما يدعي البعض منهم فقلت حاشاكما، قال: استمع، لو كنا كذلك ألم تكن أنت وهم مثلنا؟ وقل لهم ليس لدى وقت أناقش فيه من هو أقل مني علماً وحكمة ولا يعلم ما أعلم، ومع ذلك أوصيكم بقراءة كتاب الحكمة وقراءة علم الوراثة الذي ينص على حفظ الأنواع واستمرارها، وإذا أجزتم بأن أصلكم قردي، فأقول لكم إنكم لم تكونوا مني، وإذا أجزتم ذلك أيضاً بأنكم قردة متطورة فأقول لكم إذن لماذا قرود اليوم التي تبيعونها في الأسواق وتشترونها وتلعبون بها في (السيرك) وتجرون عليها التجارب العلمية لماذا قرود اليوم باقية بما أن أصلها قد تغير وتطور

إلى أن أصبح أنتم أيها السادة كما تدعون؟ وكيف تقبلون ذلك ومنكم الأنبياء والرسول؟ وإذا قبلتم بأن أصلكم قردي متطور فعليكم أن تقبلوا باستمرارية التطور إلى نوع آخر لا أدري ماذا سيكون.

اسألهم يا بني عن الأصول التي تطورت منها الأسماك والطيور والزهور والبغال العقيمة، وإذا قبلوا بأنها حافظت على نوعها فاسألهم أيضاً عن الأسباب التي جعلتها تحافظ على نوعها ولم تجعل الإنسان يحافظ على نوعه كما يدعون؟ وقرأ عليهم قوله تعالى: {سبحان الذي خلق الأزواج كلها مما تنبت الأرض ومن أنفسهم ومما لا يعلمون}، وقوله: {ومن كل شئ خلقنا زوجين لعلكم تذكرون}، الذكر والأنثى من كل نوع، وبالتالي الذين يتساءلون منكم عن أيهما أسبق من الآخر البيضة أم الدجاجة؟ فإنه تسأول غير صائب إذ لا يمكن أن تكون البيضة مالم تكن الدجاجة، ولا يمكن أن تكون الدجاجة مالم تكن البيضة، ولهذا خلق الله من كل شئ زوجين اثنين، فالبيضة إن وجدت بدون حيوان تذكير لا يمكن أن تنتج دجاجة أو تخرج فرخاً. الآن أتركك لتتم قصة بستانك على أمك، ولا تنس أهمية بستان المستقبل بالنسبة إليكم. وقبل أن أودع أبي تدخلت أمي بسؤالها وروح الاحتجاج فيها قائلة: هل من يحاوركم بلسان الحكمة يكون قرداً؟ فتدخل أبي قائلاً: لا تعمي الأحكام، هذا ابنك صاحب البستان.

أنا لست في حاجة إليه ولا إلى بستانه.

أعرف يا أمي، ولكن أنا في حاجة إلى رضاك.

إذا أردت رضائي فاسجد لله على أديم هذه الأرض كما سجدت الملائكة عليها لأبيك.

قبلت رأسها وقلت: الحمد لله أنني من الساجدين.

بعدها حفرتني بابتسامتها العريضة على الحديث عن بستانني وهي في حالة تعجب بقولها: بستان وفيه بحيرة عميقة ودافئة!

نعم، وينبع منها نهران ممتدان إلى الشمال وإلى الجنوب على طول البستان وعرضه، وهما نهر الشريان والوريد، اللذان من خلالهما أتمكن



من التجوال والتنزه في بستانى متى شئت وكيفما أشاء، ودائماً أتنزه فيه ذهاباً عبر نهر الشريان وإياباً عبر نهر الوريد اللذين لا يمكن ركوبهما بسلام إلا من قلب النبع الدافئ مركز الأمان. بعدها قالت أمى لا وقت لديّ اليوم لأستكمال الاستماع لقصة بستانك، عُد إليه وغدا بعون الله نلتقي لتستكمل القصة.

معك حق، الوقت متأخر ويجب أن أعود خاصة وأن بستانى لا ينام إلا في عيني.

يا للغرابة بستان وينام في العينين.

نعم ألم أقل لك من قبل إنّ حبيبي بستان.

والله حق ولذلك يجب أن تعود مسرعاً وأن لا تنام حتى ينام حبيبي في عيني.

وعندما عدت متأخراً وجدت حبيبي ساهراً ينتظرني فتعانقنا بحب وتغنينا سوياً، يا حبيبي، وجلسنا نتحدث بتناغم في الكلام، وعرفنا الشوق فينا عندما صمت اللسان.

وقبل الفجر نام الحبيب فوضعتة في عيني ونمت وشعرت بالنوم العميق جداً وأنا مطمئن بأنه نائم في عيني، وعندما صحوت في الصباح وجدت نفسي أنا الذي نمت في عيني.

وعندما عدت إلى أمى في يوم الغد حدثتها عما حدث بيني وبين بستانى في يوم الأمس. فقالت والله لو لم تقل لي بأن حبيبي بستان ما عرفت أنكم في حياتكم تعرفون أهمية البساتين، وعليه أعمل في بستانك مادمت حياً، فأنا وأبوك لنا تجربة مرة عليك الاستفادة منها فلا تطمع.

وما هي هذه التجربة المرة؟

في بستاننا آلاف البحيرات والأنهار المتدفقة بالعسل المسكي والشراب الحلال وجميع أنواع الثمار الحلوة المذاق، ومع ذلك طمعنا في

الأكل من تلك الشجرة المحرمة علينا مع العلم بأننا لسنا في حاجة إليها، ولكن لعن الله من كان السبب في إغوائنا.

ومن هو يا أمي؟

بعد تنهد وحسرة هو الذي ظهرت صورته في كتب التاريخ القديم عندكم، تاريخ الإنسان الأول وقرأتكم عنه في بلادكم كما قرأ غيرك عنه في بلاده. إنه التاريخ المزور الذي وضعت فيه صورة إبليس بدل صورة بني آدم. فقلت لها تعنينَ الإنسان الأول الذي لم يعرف النار إلا صدفة، ويأكل اللحم بلا طهو، ولم تكن له ملابس لستر سوءاته وعقله بليد، وكان مثل القرد قبل أن يتطور.

يا للأسف وكأنك لم تقرأ في الكتاب قوله تعالى: {لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم}.

معك حق قد يقع الإنسان في تناقض علمي وعقلي إذا اعترف بأن الإنسان كان قرداً وتطور إلى أن أصبح إنساناً وتعلم الطهو واكتشف النار صدفة وبين اعترافه بأن أصل خلق الإنسان في أحسن تقويم، أنهما قضيتان متناقضتان علمياً، وإحداهما تبطل الأخرى إذا لم نتبين بأن أصل الخلق أصدق.

نعم إنه التناقض التام، كيف تؤمنون بأن الله قد كلم آدم وتؤمنون بأنكم لأدم وآدم من تراب كما قال تعالى: {إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون}؟ وكيف تؤمنون بأن أباكم آدم قد علمه الله تعالى كل الأسرار عندما قال له: {يا آدم أنبئهم بأسمائهم} فأنبأهم بها فكيف تؤمنون بكل ذلك وفي الوقت نفسه تقولون بأن الإنسان قردي العقل والصورة؟ وكيف تقولون بأن الإنسان قد اكتشف النار صدفة وأبو الناس جميعاً يعلم ويعرف كل الأسماء بما فيها النار حفظك الله من مستقبلها؟

أريد أن أسألك عن هذا الموضوع يا أمي.

إذا أردت المزيد عليك أن تسأل أباك عندما تذهب إليه غداً.

حسنا وطلبت منها أن تحدثني عما في بستانهم (بستان المستقبل).

كله درجة أولى مملوءة بالنعيم، وفيه كل شئ فيه حب، ومن لا يحب لا مكان له فيه، وكله آيات عظام هذا باختصار وبشكل تقريبي أما وصفه على حقيقته فلا يمكن لكم استيعابه وفق قدراتكم العقلية والعلمية.

كيف ونحن نعرف أنه مملوء بحور العين والعسل المسكي والشراب الحلال!

كل ذلك صحيح ولكن وفق قدراتكم العقلية المحدودة لا يمكن لكم إدراك حقيقة مذاقها ولذتها، وذلك لأنكم تفكرون بعقل الآن الذي لا يمكنه الخروج إلى المستقبل، فالعسل لديكم لا شك فيه شفاء للناس ولكن مذاقه وعناصره لا ترتقي إلى مذاق وعناصر عسل المستقبل الذي في مذاقه رغبة وألوانه قزحية. أما حور العين مهما تخيلتم فلا تخرجكم عقولكم عن وصفها ببساتينكم المعرضة للجفاف والتصحّر بين الحين والآخر، والمزاجية في كثير من الأحيان، وفي بعض الأحيان لا يكون بينكم الانسجام والوئام إلا بتنازلات بعضكم لبعض، إنها البساتين المنقوصة فلا تغتروا. فحور العين في بستاننا كل خلية فيها هي قطعة من الجنة فلا تيأس. والشراب عندكم فيه حموضة، ويحقق الدوران ويتلف العقل ولهذا أنتم سكارى، ولأنكم سكارى فلم تنتبهوا. أما شراب المستقبل فهو شفاء لذيق المذاق للشاربين وهو لا يذهب العقل ولا يؤدي إلى الدوار، اللهم يجعلك يا بني من الشاربين في المستقبل.

## - 2 -

وأنا أفكر بعمق دخل أبي فجأة والوداعة تملؤه احتضن أمي واحتضنته والحب منهما فيض فكم ملأتني البسمة من وفائهما وتقديرهما للحب، وهما في غمرة الشوق، يقول أبي هيا إلى البستان يا بستاني، وعندما انفكا، حديث الشوق بينهما لم ينفك، إلى درجة جعلتني أكاد أن انسحب، ولكن بفتنة أبي وعلمه قال: يا بني هنا تكمن الحقيقة.

أية حقيقة يا أبي؟

حقيقة الحب، نحن في بستاننا لا حياء بيننا في الحب كما هو بينكم يا سراق الحب.

لماذا هذا التعميم يا أبت؟

كلكم سراق حب أيها السارق.

استغربت في البداية والحياء ملأني على الفور حينما عرفت أنه يعلم الأسرار، وحينها شعرت بضرورة المصارحة، فقلت: ألم تعلم يا أبي أن بيننا أعرافاً وتقاليد وقوانين وحكومات؟

أنا أعلم الأديان المختومة بلسان محمد ﷺ والمنسوخة به ومنها عرفت أن لكل منكم شرعة ومنهاجاً وهذه قواعد طبيعية لا تُحرم ما أحل الله، أما الحكومات فلا أعرف أمرها.

الحكومات كلها تحاول الإصلاح.

أي إصلاح يا ولدي.

إصلاح الفرد والجماعة والمجتمع.

هذه كلها تصلحها التي قلت لك أعلمها، ولا علاقة لغير ذلك بها.

فهمستُ له قائلاً: لا ترفع صوتك يا أبي وكن حذراً.

مم أنت خائف؟

من التي لم تعرف أمرها بعد.

إذن أين الفرد والجماعة والمجتمع الذين تتحدث عنهم؟ وأين المصادر الطبيعية للتشريع؟

كل ذلك وضعته الحكومة يا أبي في كيس القمامة.

ما أكبر كيس الحكومة عندكم، وما أصغركم أيها البشر، وصاح بأعلى صوته: تسقط الحكومة.

فقلت له متضرعاً: أرجوك يا أبي لاتقل هذا حتى لا أكون الضحية.

إذن من حق الحكومة أن تضعكم في كيسها فأنتم أيها الجبناء لا فرق بينكم وبين الحكومة.

الحمد لله أنك قد اعترفت بالحكومة كأمر ضروري للحياة.

الحياة الطبيعية لا حكومة فيها.

عندما كنت وزوجك وأبناؤك على أرضنا ألم تكن لكم حكومة؟

نعم، أنا وأمك وأخوتك وأحفادهم كنا حكومة طبيعية ولا حاكم علينا.

هذا أمر مختلف، كيف تكون حكومة ديمقراطية ولا يكون بينكم

محكومين!

هذا أمر يخصنا ونحن رضينا به.

ولماذا؟

لكي لا نوضع مثلكم في كيس القمامة.

لا تعمم يا والدي.

هذا صحيح، ولكن انظروا غيركم أيها المحكومين.

لماذا خصصتنا بالمحكومين؟

لأنكم وحدكم تحكّمون بالقوانين الطبيعية التي لا مكان فيها لحاكم ومحكوم.

ومع ذلك كن حذراً مادمت على هذه الأرض التي لم نحكمها وحدنا.

ولماذا؟

حتى لا توضع في السجن وتتهم بالتآمر على الحكومة.

ماذا تقصد بالسجن؟

كيس الحكومة.

إنه من الغرابة أن تسأل عن أشياء لا يمكن أن تحدث بالطبيعة.

ليطمئن قلبي فقط.

فتبسم أبي عندما رأي ابنتي، واستغرب ابنتي كما استغربت ابنتي، فكان استغرابي من استغرابه. واستغرابه من استغرابي وقال مادام أمرم هكذا فمن حقكم أن تكونوا سراق حب.

لقد سبق لك وأن كررت هذه العبارة (سارق الحب)، فهل هذا عنوان

قصة؟

نعم.

وبدأ القصة بقوله: في فصل الربيع والأرض مخضرة خرجت الأرنب ليلاً من الغابة كعادتها لترعى وهي ترقص بكل حرية في الطبيعة على طبيعتها والقمر مكتمل، فإذا بثعلب يتبعها، وعندما اقترب منها بدأ في المراوغة بحديث غزلي، قائلاً: ما أجملك يا قمر. فردت بعفوية نعم بالطبيعة القمر جميل، فقال: لا أعني القمر البعيد بل أعنيك أنت يا قمر، فابتسمت الأرنب وهي مستمرة في رقصتها اللطيفة دون أن توليه اهتماماً، ومع ذلك

استمر في متابعتها ومغازلتها بعبارات تستوجب الالتفات والإصغاء إليها مع أنها مملوءة بالمكر والمخادعة التي لا تعتقد الأرنب اللطيفة بوجودها، ولأنها ذات مشاعر رقيقة دغدغتها تلك العبارات وهي لاتعلم أنها فاقدة للمصدق، وبدأت تتبخر في مشيتها الهادئة وتتوقف بين الحين والآخر لتستمع إلى تلك العبارات الحلوة مما زاد الثعلب ثقة في صيدها، وخوفاً من الفرار المفاجئ دعاها الثعلب بأدب وشوق إلى تناول كوب قهوة معه فاستجابت عن حسن نية ودخلت معه إلى مقره متعدد المداخل والمخارج، وقبل أن يغلي ماء القهوة غلي رأسه بما يفكر فيه من مخادعة فأسرع يقفل البوابة تلو الأخرى وتوجه إليها قبل أن يقفل آخر بوابة وعندما اقترب منها شعرت بالخطر من خلال ما يُتمتم به من كلمات غير مفهومة فأسرعت تجري وهو من ورائها يجري حتى أنه مسّ جزءاً من وبرها الناعم الجميل إلى أن رأت تلك البوابة التي نسيها دون إقبال فتوجهت إليها بقوة حتى خرجت منها وأنفاسها تكاد تتوقف من شدة الخوف، وعادت إلى الغابة دون أن يستطيع ملاحقتها وخدمت فيها عن الخطر.

وفي اليوم التالي بعدما أحست بالأمان وشعرت بالجوع وضرورة المرعى خرجت ليلاً كعادتها لترعى، وفي لعبها ورقصها بين الأعشاب رأت قطا هو الآخر يلعب على ضوء القمر وكأنه المالك الوحيد للمرعى فسكنت قليلاً وهي تنظر إليه، وتقدمت نحوه ثم خمدت مرة ثانية وهو يرقص على ضوء القمر دون أن يتوجه إليها بسوء، ثم ظهرت لترقص كما القط يرقص، واقتربا الواحد من الآخر ولا مكان للمراوغة والمخادعة في نفسيهما، الأرنب بيضاء النفس والقط كذلك أبيض، فكان الحب بينهما أبيض.



ولكن لكل ظروفه، فالقط مرتبط وللأرنب تجربة، وبعد تردد قدّر كل منهما ظروف الآخر وقبلًا أن يكون المرعى هو الملتقى الذي ينتزه فيه كل منهما مع الآخر، فكان الحب الذي لا تُسمح به الأعراف بين القط والأرنب، مما جعل كلاً منهما يسرق نفسه للآخر ليعلنا أن الحب لا علاقة له بالأعراف ولا تحده حدود. فهل عرفت؟

نعم الآن عرفت، وعرفت من هذه القصة الطريفة أن الحب فيها قد سُرق مرتين: مرة عندما سُرقَ بكذبٍ، ومرة عندما سُرقَ بصدقٍ فالأولى سرقة الثعلب عندما تصنّع مواقفه (مواقف الحب) من أجل أن تكون الأرنب فريسة، والثانية سرقة القط والأرنب معا عندما عرفا وأحسا بأنهما على حق ويعطي الحب لحياة كل منهما معنى.

قال أبي: ها أنت عرفت، والتفت ينادي: يا بستاني، يا بستاني.

أي بستان تعني؟

أعني حبيبتني.

ومن هي حبيبتك؟

أمك هي حبيبتني وبستاني، وأخشى أن تضيع مني ثانية.

هل سبق وأن ضاعت منك أمي؟

نعم.

كيف؟

بعد أن هبطنا مُكرهينَ نتيجة الطمع على أرض النواقص ضاعت أمك وضعت أنا في هذا العالم الغريب، يومها شعرت بالوحدة ويومها عرفت قيمة أمك بالنسبة إليّ.



طردنا يا بني من بستان الكمال إلى بستان النواقص والحسرة تملؤنا  
والندامة أكثر، ولأول مرة عرفت الخوف الذي لا وجود له في بستان الكمال  
وعرفت الحاجة والأحلام المزعجة، مما جعلني أسرع في البحث عن حبيبتني  
التي من يوم أن فقدتها فقدت كل شئ فيه حب. وأنا في المسعى أنظر هنا  
وهناك عبر نظرات ممتدة شاهدت امرأة على قمة جبل، فأسرعت تجاهها،  
وعندما اقتربت من الجبل وقفت قليلاً لأتأكد، فشاهدتها رافعة يديها على  
مستوى جبهتها القمرية وكأنها تبحث هي الأخرى عن ضائع، فصعدت إلى  
قمة الجبل مسرعاً نحوها، وأنا صاعد إليها نظرت هي اتجاهي ونظرت إليها  
فعرفتني كما أنا عرفتها، وعانق أحدهما الآخر بحب وتشاكينا بود وتغنينا سوياً  
يا حبيبي. ونزلنا من على قمة الجبل العظيم ويدانا كأنهما ملتحمتان بالشوق  
والفرحة الكبرى ووقفنا في تأمل للقدره التي جمعتنا بعد فراق على هذا الجبل  
العظيم، ونحن في حالة توحد طلبت مني حبيبتني أن أعرفها على اسم هذا  
الجبل الذي تعارفنا عليه، فقلت لها ها أنت تنطقينه، إنه جبل عرفة. واستأنفنا  
المسير وشفق الغروب الجميل في عيوننا فأضفى علينا مناخاً من الود  
والدفء العميقين، ثم جلسنا والحديث بيننا بحر هادئ والسكون يُحيطنا،  
ولأول مرة نتحدث عن شيء جديد لم يسبق لنا معرفته، إنه الأمانى، وكانت  
أول أمانى لنا هي العودة إلى البستان المفقود، ونحن في تعداد أمانينا نمث  
في حضان حبيبتني ونامت هي الأخرى في حضني، وعندما صحت من نومها  
أيقظتني وهي تسأل عن آخر أمانى تحدثنا عنها قبل نومنا، فقلت لها لا أتذكر  
إلا الأمانى الأولى.

عرّفتني يا آدم على اسم هذا المكان.

اسمه المشتق من حديثنا.

أتعني منى؟

نعم إنه منى.

واستأنفنا المسير غرباً إلى أن وجدنا أثر قدمين على الأرض وكأنهما

هابطتان من السماء، فقالت ما هذه الآثار؟

إنها آثار قديمي المتمكنتين إلى الكعبين في الأرض عندما نزلت عليها.

وما السر في نزولك هنا بالذات؟

لا أدري، ولكن لعل أبنائي من بعدي يعرفون ويقدمون هذا المكان الذي نزلت فيه بسلام وأنا أول من كلمه الله و علمه جميع الأسماء والأسرار، وطلب من الجميع أن يسجدوا لي فسجدوا إلا إبليس الذي لعنه الله لم يسجد لي ولذلك سيكون هذا المكان مقدساً من بعدي إن شاء الله تعالى، مكان مقدس لسر يعلمه الله الذي أنزلني عليه بالذات وقداسته لا تقدر إلا بممارسة العبادات والسجود نحو الله بدلاً من السجود نحوي وحمداً لله الذي غفر لي لنعوذ وبستاني إلى العيش في الأمانة الأولى.

أرجوك يا أبي قبل العودة أن تستوفي قصة حبيبتني بستاني.

حبيبتني من البستان العظيم، كل شيء فيها وكأنه البستان، لقد استوعبتني فوجدت فيها الفسحة والمدى الواسع المملوء بالحب والأمان والشوق العميق، يوم أن نمتُ على صدرها ونامت هي على صدري دون سابق معرفة لنا بالنوم على هذه الأرض الجذباء، يومها عرفت طعم الراحة في أحضانها الدافئة وهي لباس لي وأنا لباس لها. وأبي يتحدث عن بستانه ظننت بيني وبين نفسي وكأنه يتحدث بلساني عن بستاني حتى تخيلت أنه قد شاهدني ذات مرة في حالة فيض وجداني مع بستاني الجميل وأنا لا أدري، وعندما لاحظني في حيرة من أمري قال لي عُدَّ إلى بستانك وإلى اللقاء.

وعند العودة إلى بستاني قبل الغروب تنزهت تحت ظلال أشجاره الشمالية المنسقة، وعند الليل والقمر بين النجوم في قلب السماء حاولت أن أقارن بينه (القمر) وبين بستاني فوجدت نفسي واقفاً بين قمرين وملايين النجوم، حتى ظننت أنني واقف بين القمر والنجوم المحيطة من جهة، وبين المرأة التي وقفت أمامها القمر لترى جمالها ونجومها السماوية التي تحيطها من جهة أخرى، وقد أخذتني الحيرة ولم استطع أن أفرق بين قمر السماء وقمر المرأة، وأنا في هذه الحيرة الجميلة همس لي القمر قائلاً: لا تنس أن تكتب قصة حبيبتني بستاني، فقلت له: أيها القمر من الأفضل أن يكون العنوان حبيبي بستان، فقالت لا، الأفضل حبيبتني بستاني، وأنا في حالة تأمل لم

أعرف أي القمرين يهمس لي، فابتسم أحدهما وابتسمتُ أنا وهي تودعني بقولها: إلى اللقاء أيها الحيران.

إلى أين؟

إلى رحلتي المعتادة.

أكاد لا أصدق لو لم تعانقني بحرارة وهي تقول: أنظر إلى تلك وتشير إلى (القمر) السماوية ومع ذلك لم أميز بينهما إلا بالمسافات التي تفصل بيننا فقلت في نفسي ما أجمل هذه القمر وما أروع تلك.

وأنا تائه في تمنع جمالها كلمتني أمي قائلة: ما أحسنك متأملاً في بستانك وما أطفك عاملاً فيه، ثم سألتني أين ينام بستانك؟ وأين يعمل؟ وأين ينتزه؟

إنه ينام في عيني، ويعمل في قلبي، وينتزه معي في النهرين مثلما أنتزه فيه وأنام تحت ظلال أشجاره المنسقة تارة، وألعب تحت أشجاره الغجرية تارة أخرى.

حفظك الله من الحاسدين يا ابني.

وفي حديثي مع أمي سألتها عن الفرق بين عالم النقص وعالم الكمال الذي تحياه مع أبي؟ فقالت: في عالم النقص قمامة، وحكومات تزور الانتخابات، وفيه الحرام، وفيه الفقر والمرض، أما عالم الكمال فهو فردوس من النعيم، فعالمكم هو عالم النقص وعالمنا هو عالم الكمال، وفي عالمكم زمان اثنان لا ثالث لهما، هما: الماضي والحاضر، ولا مستقبل لكم إلا في عالمنا، ولهذا نحن لنا زمن واحد هو الحاضر بالنسبة إلينا والمستقبل بالنسبة إليكم.

كل ما تتحدثين به عن عالمنا هو حق، وبما أنه حق إذن كل ما تتحدثين به عن عالم الكمال هو حق أيضاً، وعليه أطلب منك يا أمي طلباً.

بكل سرور.

احجزي لي من فضلك مكاناً في عالمكم.

ماذا تقصد.

أقصد حورية جميلة جداً.

فضحكت بصوت عالٍ، وقالت: كيف تقول حورية، وفي الوقت ذاته تقول جميلة جداً؟ يا بني يبدو أن المعرفة عندكم قاصرة جداً وإلا كيف لاتعرف أن الجمال هو كل شئ في عالمنا الذي هو أكبر وأوسع وأجمل مما تفكر، وبما أنك قلت حورية، فلا تقل جميلة، ولا جميلة جداً، لأن الحورية هي التي فيها تمام الجمال، فلا تقلق وكن من العاملين عليها.

يا أمي لا تتهربي من مطلبي (حورية في الجنة) وها أنا اوصيك والوقت معك.

يا حسرتاه.. هذا مستوى ما يقال عنه إنه تطور، إذ كان هذا حالكم يبدو أنكم يا بني آدم في حالة انحدار لا في حالة تطور، ثم صمتت قليلاً وقالت: بما أنك هكذا راغب فلماذا لا تمتلك بستانين؟

لو أمتلك يا أمي بستانين أضيع بينهما وأحرم آخر من حق التملك.  
نعم لكل بستانٍ بستان، ولو أراد الله غير ذلك لخلق مع آدم حواءين اثنتين.

إذن فلماذا المثنى والثلاث والرابع؟

لأن البعض منكم في حالة انحراف فأجاز لكم الله ما ينهي انحرافكم، ومع ذلك ما استطعتم ولن تستطيعوا ولو حرصتم.

نعم هذا صحيح، وكذلك أحل الله هذا الأمر لمن هم في حاجة إلى رضاء الله تعالى.

نعم أيها الرومانسي.

لا يا أمي.. لا ... أنا شرقي من بني سليم.

فابتسمت، وقلت: لم أقصد ذلك يا طفلي.

بعد هذا العمر وتقولين لي يا طفلي؟

نعم أنت دائماً بالنسبة إليّ طفل، وعليه يبدو أنك لم تعرف برجك بعد.

برجي الجوزراء.

ابتسمت ثانية وقالت: بما أنك تعرف برجك على حقيقته، فلا تحتج على تعريفي لك بالرومانسي، فعد إلى بستانك وأوقد الشموع. فقلت بيني وبين نفسي يبدو أنها غارقة في الرومانسية أكثر مني.

وسألتها: كيف تكونين رومانسية وأنت سابقة عليها؟

أنت على حق، ولكني حدثتك بلغة المناهج المستشرقة لكي تفهم ما أقصد، وبالمناسبة أخبرني عن مناهجكم التعليمية.

# - 3 -

مناهج عصرية متطورة جداً تُعلمنا القراءة والكتابة وتُعلمنا كيف ننجح في الامتحانات، ولا تعلمنا كيف نتعلم، وتمدنا بالمعلومات الجديدة من خلال شبكة الانترنت، وتدخلنا إلى الكتب ولا تخرجنا منها، وتعلمنا أكثر من ذلك الغش في الامتحان، فقاطعتني وقالت ومن الذي يصوغها؟

الأساتذة.

وفق أي منظور؟

وفق منظور الحكومة.

فضحكت وقالت: إذن من الضرورة أن تعلمكم الغش في الإمتحان.

نعم، وتُعلم أكثر من ذلك الرقص على مزامير الثعالب.

لا أعتقد إلى هذه الدرجة يا بني!

إن لم تصدقي فهياً معي إلى زيارة مجموعة من البساتين والمزارع المأهولة بالسكان.

هيا بنا يا بني إلى الغرب والشرق وإلى العالم الثالث.

لا داعي يا أمي إلى زيارة العالم الثالث فمدارسه بلا نوافذ وبلا أبواب، ولذلك لا يفكرون في صيانتها ولا يفكرون في الاستغناء عن الأمية.

لماذا لا يفكرون في الاستغناء عنها؟

لأن العالم الثالث هو ميدان الدراسات التجريبية للمتعلمين والمستعمرين من الغرب والشرق ولذلك أوجبوا الحفاظ عليه.

إذا كان الأمر هكذا إذن لا داعي للزيارة وارو عليّ القصة التي  
عنونتها (رقصة كتكوت على مزمار ثعلب) لنتفق معك على ما تقول أو  
نختلف.

**قلت:** فتحت مدرسة الكتاكيث للتعليم الأساسي أبوابها لجميع البالغين  
الشهر السادس من العمر، وعين الثعلب مدرساً أولاً نظراً لقدراته الفائقة في  
التحايل والمخادعة، وذلك بهدف تنوير المتعلمين وتطوير مستوياتهم  
الفكرية، وعُين الكلب مفتشاً ومتابعاً للعملية التعليمية، وذلك من أجل تحقيق  
التوازن بين حقوق المدرس والتلاميذ. وقبل بداية الدروس التقى المفتش مع  
المدرس ليبلغه بالمهمة العلمية، فقال له: ينبغي أن تهتم بتحصيل التلاميذ وأن  
لا تخون الأمانة خاصة في أثناء الامتحانات، وعليك أن تعرف بأن  
للإمتحانات ضحايا، فتبسم الثعلب وقال: كن مطمئناً هذه أمانة، وعليك  
محاسبتني إن قصرت في تأديتها. وكانت المقررات هي تعليم الكتاكيث كيفية  
المراوغة، والتحايل، والخداع، حتى تتمكن من القضاء على الجهل الذي  
يلحق بها. وذات يوم سأل الثعلب الكتكوت وهو يمتحنه في مادة المراوغة:  
لو أتتك الرياح من الجهة اليمنى فكيف تقي نفسك من خطرها؟ فقال الكتكوت:  
أضع جناحي الأيمن على وجهي، وقال له: لو أتتك الرياح من جهة الشمال  
فماذا تفعل؟ فقال: أضع جناحي الأيسر على وجهي، بعدها سأله: وإذا جاءتك  
الرياح من الجهات الأربع، فماذا تفعل دون أن تُجيب على هذا السؤال شفويًا؟

فبدأ الكتكوت يرقص، ووضع جناحيه على رأسه إلى درجة أنه لم  
يستطع الرؤية، حينها ابتسم الثعلب وقفز على الكتكوت وأكله. وفجأة دخل  
المفتش ليراقب كيفية سير الامتحانات فوجد أثر ضحية فسأل الثعلب: ما هذا  
يا أستاذ؟ فأجابه هذه نتيجة الامتحانات وهرب، فانطلق الكلب مسرعاً  
لملاحقته، إلى أن أنقض عليه بمخالبه وسأله، لماذا هذه النتيجة السيئة؟ فقال  
له: لأن الجد الرابع للكتاكيث قد مات وهو غير راضٍ عنها، فقال الكلب:  
هكذا كان جدك هو الآخر رحمه الله غير راضٍ على أحفاده من بعده، حينها  
صرخ الثعلب، وطلب من الكلب أن يمهله لإصلاح حاله، ويكون خادماً  
مطيعاً لأوامره، (أوامر المفتش) وعرض رأياً على المفتش وهو أن تكون  
نتائج الامتحانات وفق عوائدها مناصفة بين المدرس والمفتش وألا تكون

المقررات هادفة لمصلحة الكتاكيت بل لمصلحة الثعالب والكلاب فقط. ومع ذلك لم تنتبه الكتاكيت إلى أنّ ما يجري هو تخريب مستقبلها، كان الكثيرون منهم فرحين بميوعة المناهج التي لا تفيد إلا لرقص كتكوت على مزار ثعلب. هكذا كان العقد بينهما وهو عقد غير مكتوب مثله مثل عقد جان جاك روسو، عقد ساري المفعول وهو غير مختوم وغير موقع من قبل طرفي التعاقد مما جعل الاتفاق والاختلاف مستمرين حسب الموضوع والمصلحة. ولهذا أصبحت نتيجة الامتحانات مهما اختلف الطرفان المتعاقدان، أن الكتاكيت هي الضحية المتفق عليها.

ضربت أمي يديها الواحدة على الأخرى وقالت: كم كنت اعتقد بأن الرقص جميل عندما حدثتني عنه، ولكن لم أكن أعرف أنكم ترقصون رقصة الديك المذبوح.

يا أمي الكل يرقص والأعمال بالنيات.

نعم الأعمال بالنيات، ولذلك لا قيمة للمناهج إن لم تتحدث بلسان الجميع، الطفل والشاب والكبير، والرجل والمرأة على السواء. هذا إذا أردتم معرفة الحقيقة والتخلص من الجهل، وعندما تصاغ بلسان الجميع فإنها بالضرورة تستهوي الجميع.

متى تستهوي الجميع؟

عندما تستوعب رؤاهم وطموحاتهم، وتجيب على كل تساؤلاتهم وعندما تهيب تطلعاتهم إلى المستقبل. وبما أن مناهجكم تدخل المتعلمين إلى الكتب ولا تخرجهم منها فإذن عليكم بتحرير مساجينكم من سجونها.

أي سجون تعنين؟

سجون الكتب التي دخلوا إليها ولم يخرجوا منها، وأن تقرر إلغاء أحكام التأييد إلى الأبد، فالمحكوم عليه بالمؤبد لابد وأن يتخلف عن مواكبة التقدم في مجالات الحياة الثقافية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية، ولهذا مناهجكم ومقرراتكم التي تدخل المتعلمين إليها ولا تخرجهم منها هي سجون وأحكامها تأبديّة، فعليكم بتهديم السجون وتغيير القوانين إلى قوانين تُخرج



المتعلمين من الكتب إلى الميدان لمعايشة الحياة التجريبية وممارسة فن العلوم والتقنية الحديثة التي تمكنكم من التقدم والتطور إلى الأفضل وتمكنكم من دخول المستقبل، وإذا لم تُعجّلوا بذلك فإنكم منحدرون إلى الهاوية والتخلف المميت في وقت لا مكان فيه لغير العمالقة. وعليه إذا لم تغيروا ما بأنفسكم، فعليكم بقبول انحداركم من إنسان إلى قرد، وليس كما تدّعون أنكم المتطورون منه إلى الإنسان. وإنه لمن الغرابة أن يقبل الإنسان بأن أباه قرد (أصله قرد) ولا يغضب!

لا يا أمي الحبيبة، أبأؤنا بشر مخلوقون في أحسن تقويم، وليسوا قروداً.

سألتني بغضب، وادم؟

إنه أبو البشر أول من كلمه الله وسجدت له الملائكة.

إذن من أين جاءت أبوة القرد لكم؟

اسألهم، أنا لست منهم.

أعرف أنك صاحب البستان الذي أوصيتني ولم أحجز لك شيئاً.

ولماذا؟

لأن الحجز كلمة لا مكان لها في بستاننا العظيم.

وما هو البديل؟

الوفرة المباحة.

إذن أنت يا أمي على حق حينما قلت لي بأننا في حالة انحدار ولسنا في حالة تطور.

هذا يرجع إلى مستوى تقديرك للإجابة.

أنا واثق بأننا تطورنا ولم نتغير؟

معك حق إذا كنت تقصد بالتطور التطور المعرفي والمعلوماتي وزيادة الخبرة، ومعك حق أيضاً إذا قصدت بكلمة (ولم تتغير) أنكم الجنس البشري نفسه منذ لحظة الخلق العظيم، أما إذا كنت تقصد غير ذلك فإنك لم تكن أنت صاحب البستان الجميل.

نعم، نحن.. نحن، وهي.. هي.

ماذا تقصد؟

أقصد التأكيد على ما قلت، فنحن البشر لم نتغير عن نحن، وهي القروء لم تتغير عن هي.

وبستانك؟

بستاني متطور، ومناخه معتدل، ومياهه دافئة وأشجار منسقة، والفسحة فيه هي الفسحة، والوقت فيه شروق وغروب.

ولماذا لا يكون فيه شروق فقط حتى لا يشار إليه بالتناقض؟

أقصد فيه جمال الشروق وجمال الغروب أيتها الأم الرومانسية شروقه صرخة عباد الشمس، وغروبه غروبها، ما أجملك أيها البستان في الحركة والسكون وما أجمل العيون عندما تنتزه فيك. وحتى لا نسرح وأنا وأمي في جمال زهرة عباد الشمس سألتها: لماذا ذهب أبي ولم يعد؟

لأنه غاضب من وصفكم للأجداد وغاضب من تزويركم للانتخابات.

أنا قد تأسفت له وأكرر أسفي، أما الحكومة فهي أمر واقع. وتنزهاً عن إحراج الحكومة طلبت منها أن تحدثني عن أول صراع حدث بين أجدادي.

وللأسف يا بني كان صراعاً بين هابيل وقابيل، أول مأساة بشرية بعد هبوطنا على هذه الأرض، وهو في حقيقته صراع بين الخير والشر الذي يملأ النفوس.

وعلى ماذا هذا الصراع؟

على البستان الذي يتغنى به الجميع سراً وعلانية، فقلت في نفسي:  
إذن الصراع الاجتماعي هو أول الصراعات على هذه الأرض، وحمدت الله  
أنني أمتلك بستاناً بدون منازع ولا أفكر في غيره. ثم سألتها ومن هي سيئة  
الحظ التي كان عليها هذا الصراع المميت؟

فقلت في أسف إنهما ابنتاي.

والله لم أفهم يا أمي، كيف يتصارع ابناكما على بنتيكما (أختيهما)،  
استغفر الله كيف تكون الأخت زوجة؟

استغفر الله على كل حال، ولكن لماذا لا تستخدم عقلك يا ولدي؟ ألم  
يكن أصل البشر آدم وحواء المخلوقين من نفس واحدة (من جنس واحد)  
والمخلوقين من تراب؟

نعم.

إذن كيف حدث التكاثر يا ولدي لو لم يتزوج الأخ أخته؟

معك حق يا أماه مع أنه محرّم في وقتنا الحاضر.

لا تستغرب هكذا بدأ الخلق وهكذا أنتم تطورتم.

ما أجمل التطور.. ما أجمل التطور، وأكثر ما أجمل اليقين. وتدخلت  
أمي لتخبرني عن الدرجة التي وصل إليها الأجداد من التأخر معرفياً، قائلة  
إن ابني قابيل قتل ابني هابيل ولم يعرف كيف يوارى سوءته، إلى أن بعث  
الله غراباً ليأخيه كيف يحفر الأرض ويوارى سوءة أخيه، وذلك كما يروى  
أن غرابين اقتتلا فحفر القاتل حفرة لأخيه الغراب بقائمتيه ودفنه في الأرض،  
حينها عرف قابيل كيف يوارى سوءة أخيه، وعرف أنه ناقص المعرفة،  
وقالت في هذه عبر: الأولى البحث عن المعرفة، والثانية وجوب دفن الميت،  
والثالثة أن يعرف الجميع أنهم خلقوا وإليها يعودون. والرابعة يا أمي  
أن المعرفة ليست مقصورة على الإنسان فقط.

وهذا صحيح يا ولدي، ولذلك تعلم قابيل من الغراب كيف يوارى  
سوءة أخيه، فالإنسان يتعلم حتى من الذي هو أقل منه درجة أو سناً. قلت

نعم وأنا أنظر إلى الغراب الذي يقال عنه إنه ضيَّع مشيته ولم يعرف كيف يعود إليها عندما حاول أن يقلد الحمامة في مشيتها. ثم سألتني: لو قال لك أحد هل لديك ما تضيفه فماذا تقول له؟

كل من يرغب في معرفة المزيد فعليه أن يعود إلى ما قاله نوح وإبراهيم وموسى وعيسى وغيرهم من الذين قُصَّت علينا قصصهم او لم تقصص.

وإن لم يجد ما قالوه مكتوباً؟

ولن يجده يا أمي إلا في الكتاب المحفوظ الذي فيه قصصهم ليأخذ العبر منه وليعرف حقاً أن ما كتبه داروين عن التطور ليس الحقيقة.

# - 4 -

قال أبي: هكذا بالمحاورة تتبين، وبها تتكامل وجهات النظر وتتواصل الحضارات.

تتواصل الحضارات أم تتصادم يا أبي!

ألم تعلم أن جميع الرسل والأنبياء صلوات الله عليهم في حالة تواصل، وجميع الديانات السماوية في حالة تواصل، والأنواع جميعها في حالة تواصل إلى النهاية، فالصدام لا يكون بين الحضارات بل يكون بين الخارجين عليها، كالأديان بالتمام لا يمكن أن يكون الصراع بينها، بل يكون بين الخارجين عليها (غير الملتزمين بنصوصها وسلوكها) فالإسلام ليس حضارة ليقال عنه إنه في صدام مع غيره من الحضارات، الإسلام دين من عند الله أما الحضارات فهي من عند البشر، ولهذا كان الصراع بين البشر في حالة اتصال هو الآخر، ولا تصدق يا بني أن يكون الصدام بين من لا اتصال بينهم، الصدام أمر طبيعي لا بد وان يحدث بين الأفراد والجماعات والمجتمعات والأمم الأقارب والأبعاد على السواء {ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض}. وقال أبي: لو لم أكن أنا وأمك على اتصال ما كنتم أنتم من بعدي، ولو لم أكن أنا أول من اصطفاه الله ما كان محمد ﷺ خاتم المصطفين ونتيجة الاتصال الذي بيننا تناسخت رسائلنا من بعضها البعض فبقي الناسخ وزال المنسوخ.

إذن لماذا كتبت صموئيل هنتونجتون كتاباً بعنوان **صدام الحضارات** مدعياً فيه ضرورة الصدام بين الإسلام والغرب؟

الحضارات يا بني كما سبق وفهمتكم لا يمكن أن تتصادم. الصدام يحدث بين البشر الذين ينتمون إلى هذه الحضارة أو تلك، فالحضارة إنجاز،

والمنجزات لا تتصادم. وعليك أن تفرق بين الإسلام كدين سماوي وبين الغرب كجهة، وإذا أجزتم الصراع بين الاتجاهات فيكون الصراع بين الغرب من جهة وبين ما يواجهه في الاتجاه الآخر (الشرق) ومع ذلك فالاتجاهات ثوابت طرفي المركز الذي يشار منه إليها، وإذا أجزتم الصراع بين الدين والآخر، فلا بد أن يكون مع من يقال لهم لكم دينكم ولي دين.

حق والله يا أبي أنا وبستاني في الشرق، من الجهة التي تشرق منها الشمس كل صباح عندما تدور الأرض بنا كل أربع وعشرين ساعة، وتمر علينا في السنة الواحدة أربعة فصول من أجل أن تتنوع منتجاتنا ويحلو مذاقها، وهذه الخاصية ليست لدى أهل الشمال الذين يفتقرون إلى تنوع الفصول، مما يجعلهم يتوجهون والغرب معهم للتنفس عندنا، وعندما يعودون إلى شمالهم وغربهم يعودون مُحَمَّلِينَ بخيراتنا، وعندما يأتون ثانية إلينا يأتون بشئ من الهدايا من العطور التي صنعوها من زهور بساتينا لكي نتعطر بها، ويأتون بشئ من الخمر لكي تدور رؤوسنا وترخص أسعارنا، وقبل أن أنهى حديثي قاطعني أبي قائلاً بغضب: هكذا حالكم وبساتينكم؟

قلت في خشية: هذا حال التواصل بين الشرق والغرب.

إذا كنتم هكذا فلا استغراب فيما قاله عنكم داروين.

يا أبي: ألم تقل لأمي من قبل لا للتعميم!

نعم.

ولكنك عممت.

لا تلمني يا حبيب البستان الجميل، وطلب مني أن أتركه للراحة في بستانه. قلت الحمد لله رضاء الوالدين من رضا الله تعالى، وعدت إلى بستاني للراحة أيضاً.

قابلني بستاني بشوقٍ واحتجاجٍ في آنٍ واحد. شوقٌ بعد غياب واحتجاجٌ لطوله. ولهذا تعانقنا ثم انفصلنا قليلاً، ثم تعانقنا في لحظات صمت لا تُسمع فيها إلا دقات القلب، وحالما انفكنا كانت عينا في عيني بستاني وعيناه في عيني، وابتسامة الفجر تملأه وتملأني وتجادبنا حديثاً ودياً، وسبحنا في

الربيع والعصافير تغني ومشينا في سماءٍ زينتها النجوم، وصحونا بعد عمق  
فنسينا الهموم.

وسألني بستاني عمّا حدث معي؟ فرويت له كل الحوار الذي دار بيني  
وبين أبي طوال الرحلة. فقال: الحمد لله لم تخبره أنك استوردت لي قارورة  
عطر من الغرب.

لم أقل له ولكنه يعرف أن كل أدوات الزينة والعمطور التي تتزين بها  
البساتين عندنا هي من الغرب، وهو يعرف أيضاً كل من سرق الحب، فقال  
بستاني يا ليتنا لم نسرق، وعندما دخل أبي فجأة سمع كلمة نسرق، فقال من  
هو السارق؟ قلت على الفور: الغرب.

ألم أقل لك إن الغرب لا يسرق، بل الذي يسرق هم البشر سواء في  
الغرب أو في الشرق.

هذا ما أعني بعض من سكانه سراق. فقال وهو يلومني تذكر يابني  
قوله تعالى: {إِنَّ اللَّهَ لَا يَغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ} فإذا كنتم أنداداً  
للغرب تَكُنْ نتائج التواصل بينكم لصالح الجميع، وإذا لم تكونوا أنداداً له، فلا  
تتوقعوا أن يكون بكم رؤوفاً رحيماً. نعم لقد كنتم في صدارة الحضارات  
عندما كنتم كلمة واحدة واليوم في آخرها بعد أن تنازعتم وتفرقتم ففشلتم  
وذهبت ربحكم. عندما كنتم في صدارة الحضارات انتقلت علومكم إلى  
الغرب والشرق البعيد فبنوا حضاراتهم على قواعدها وامتدت علومهم إلى  
أمريكا فكانت لهم الصدارة يوم أن تأخرتم عن مواكبتها ولا تنسوا أهمية  
الصين (الدب الصامت) إنها آتية للصدارة لا محالة، وهكذا تتقدم الأمة  
بالوحدة وتتأخر بالتفرق والتفرق فإن شئتم الصدارة فعليكم بالوحدة  
والانطلاق من النقطة العلمية التي وصل إليها غيركم وعليكم أن تعرفوا أن  
التقدم الحضاري بالتواصل لا بالتصادم.

ثم سألني: ماذا تعرف عن العولمة؟

العولمة هي زعامة أمريكا للعالم، من خلال فرض سيطرتها على  
منظمات الأمم المتحدة وعلى كل الدول ذات السيادة الحرة لكي تقوم بدور

المربي الاجتماعي والسياسي والثقافي والاقتصادي لمن لم يرب وفق نظرة  
لا تقبل الرأي الآخر.

هل قبلت وبستانك هذا الرأي؟

لم يعرض هذا الرأي للمشاورة، بل إنه المفروض على جميع الضعفاء  
أما أنا وبستاني فبيننا المشاورة في كل امر يتعلق بنا، في الحرث والزرع  
والحصاد وفي الوقاية والعلاج وفي كل شيء سواء في السلم أو في الحرب  
ولا ننفذ إلا ما نقرر.

ولكن العولمة وفق ما وضحته لي لا تقبل هذا الاتجاه ولا تسمح به،  
وإلا قبلتم بأن تكونوا الضحية؟.

العولمة في حقيقتها كالشجرة العالمية ليست مولوداً غربياً ولا مولوداً  
أمريكياً، بل إنها اتفاق عالمي على مفهوم واحد للشجرة، وشعوب العالم لم  
تجتمع بعد على طاولة المشاورة ولم توقع عقداً يضمن حقوق الأفراد  
والجماعات والمجتمعات في الشجرة العالمية وفق مبادئ سامية وسرمدية.  
العيش تحت ظل شجرة واحدة أو على شجرة واحدة أمانٍ استهدفتها السياسات  
ولم تتحقق عبر العصور ولن تتحقق وفق سياساتها المتقلبة، واستهدفتها  
الدعوات الإصلاحية كالبودية والكنفوشية ولم تتحقق ولن، واستهدفتها  
الرسالات السماوية المنزهة، كاليهودية والمسيحية والمنتاسختين بالرسالة  
العالمية التي جاءت للناس كافة. كل هذه الدعوات التي تدعو إلى مظلة  
عالمية بقيت أمانى ولم تُسد العالم مع أنها للناس كافة. وبما أن الرسالات  
السماوية التي تُقر المشاورة من أجل أن تقبل الرأي الآخر لم تُسد العالم بعد،  
فكيف يُقبل أن يسود الرأي الخاص الذي لا يقبل الرأي الآخر. وقبل الغرب  
وأريكا كانت هناك عدة محاولات سياسة وفكرية توجهاتها عالمية في قرون  
ما قبل الميلاد كان الرومان يهدفون إلى تعميم قوانين روما على العالم  
باعتبارها من وجهة نظرهم قوانين عالمية، وفي العصر الحديث تبلورت  
الأفكار العالمية في تنظيرات ثلاثة: تمركز الأول على إبراز الفرد وتشتته  
عن الجماعة والمجتمع، وتمركز الثاني على إبراز الجماعة وتشتتها عن



الفرد والمجتمع، وتمركز الثالث على إبراز المجتمع فاحتوى الفرد والجماعة.

ولكن كيف يمكنك أن تفرق بين هذا وذاك؟ بين آراء السياسيين وبين آراء المصلحين والمفكرين وبين الرسائل السماوية؟

آراء السياسيين يا أبي متقلبة لا ثبات لها. وآراء المصلحين اجتهادات جادة تقوى وتضعف بقوة الحجة والمصدر الذي تستند إليه، والرسالات السماوية منزهة ومصدر تشريع.

وما هي نقاط الاتفاق والاختلاف بين ما ذكرت؟

معك حق الاتفاق قبول المشاورة والاختلاف رفضها، فالسياسة فرق تُسُد. والإصلاح وحّد تُسُد.

إذن لا فرق بينهما يا ولدي الكل يهدف إلى سيادته.

الفرق كبير يا والدي، الأولى سيادة فرد أو جماعة على الكل مما يجعل بينهم سياداً ومسوداً والثانية سيادة الكل على أنفسهم مما يجعلهم سادة.

إذا صح ما تقول فالأولى مصدرها وضعي والثانية مصدرها سماوي، نعم، ولهذا لا استقرار ولا اطمئنان تحت ظل شجرة واحدة إلا والدين واحد، والعرف واحد، والفكر واحد، وإذا لم يتحقق ذلك ستظل هذه الشجرة مطلباً لمن يمتلك القوة وستظل مرفوضة من قبل من لا يمتلكها ومن قبل من يعترف له بخصوصيته حتى ولو كان حيواناً عالمياً.

وما قصة الحيوان العالمي هذه يا بني؟

انعقد المؤتمر العالمي للحيوانات تحت شعار المساواة والحرية للجميع، وحضر هذا المؤتمر مندوبون عن خمس أمم هي: الدجاج، الثعالب، الخراف، الذئاب، والكلاب، وكان البند الأول هو اختيار ممثلين لعضوية المؤتمر. ونظراً لأهمية الديمقراطية الليبرالية في تأكيد نظام النيابة والتمثيل، لم يحضر رئيس المؤتمر هذه الجلسة حتى لا يؤثر في حرية الاختيار، وكانت اللجنة المشرفة على الاختيار معينة من قبل الرئيس الديمقراطي،

وعندما بدأت الثعالب بتسجيل اسم ثعلب على أحد صناديق الاقتراع صاح ممثلو الدجاج معترضين على أن تكون الثعالب الفاشية في لجنة المؤتمر، بل وطالبوا بطردها من المؤتمر، فصاح ممثلو الثعالب وبدأت المشادات لولا تدخل ممثلو الكلاب من أجل ضبط النظام، وطلبوا تأجيل ذلك إلى حين آخر. وأعطيت الفرصة لمندوبي الذئاب لتسجيل اسم من يرغبون اختياره. فسجلوا اسم أحد أبنائهم الديمقراطيين الأحرار، فصاح ممثلو الخراف والنعاج معترضين على دخول الذئاب الظالمة حملة الانتخابات، وبدأت الذئاب تعوي وتتوعد الخراف بممارسة الديمقراطية بعد انتهاء المؤتمر الموقر، وكذلك لولا وجود لجنة ضبط النظام لكانت المعركة الديمقراطية داخل قاعدة المؤتمر. وبدأ الضجيج والصراخ إلى أن دخل الدب (رئيس المؤتمر) الذي لا نزاع على مكانه في السلطة. حينها صمت الجميع عن التشاجر، وبدأت الهتافات بحياته إلى مالا نهاية وكان الموت لا وجود له في عالم الحياة. فشكر الجميع وسألهم عن أسباب الخلاف بينهم. فقال ممثلو الدجاج: نحن نعترض على وجود الثعالب معنا في ممارسة السلطة، وقال ممثلو الخراف: نحن نعترض على وجود الذئاب في ممارسة السلطة معنا أيضاً، وقالت الثعالب والذئاب معاً نحن نعترض على وجود الكلاب في لجنة ضبط النظام، حينها ابتسم الرئيس وقال لهم: ينبغي أن يستمر خلافكم وعداؤكم إلى أن تتأكد الحرية لكل منكم وفق جهده، وهكذا أنتم ديمقراطيون إلى الأبد، ثم قال: تعتبر الدجاجة حيواناً عالمياً مثلها مثل الثعالب، ومثل الخراف والذئاب والكلاب، ولهذا ينبغي أن تكون التضحية واجباً عاماً، وأن أمة الدجاج رفيعة الشأن، وتزداد رفعة وشأن وحرية عندما تتوحد مع أمة الثعالب في حظيرة واحدة. وينبغي أن تمارس الخراف الديمقراطية والحرية مع الذئاب في حظيرة واحدة أيضاً. حتى تتحقق المساواة بين الجميع وهكذا ينتهي الخوف إلى الأبد. وفي ختام كلمته شاهد ولاحظ أن الجميع يبكي. فسأل نقيب الدجاج: لماذا يبكي الدجاج أيها المحترم؟

يبكي يا سيدي صاحب الفخامة من الخوف (من وحدتنا مع الثعالب).

وسأل نقيب الخراف: لماذا تبكي الخراف أيها المحترم؟

تكبي يا صاحب الجلالة من الخوف (من وحدتنا مع الذئاب).

وسأل نقيب الذئاب: لماذا تبكي الذئاب يا محترم؟

تبكي من الخوف.

أي خوف تعني؟

الخوف من لجنة ضبط النظام. وأجابه نقيب الثعالب وهو يشكره إننا نبكي يا صاحب المعالي من الفرحة (من فرحة الوحدة مع الدجاج).

وفي الختام قال رئيس المؤتمر: ينبغي أن تُنتزع الحرية انتزاعاً لا أن تقدم على طبق من فضة، وطلب من الجميع عدم الخوف من ممارسة الديمقراطية والحرية وأن يناقشوا الأمر بعد خروجهم من بوابات واحدة، ويعودوا للانعقاد في يوم الغد بعد أن تتضح عندهم الأمور.

وفي اليوم الثاني حضر الجميع بشكل منظور وغير منظور لمناقشة أهمية الحيوان العالمي. فوجد الذئب القاعة غير ممتلئة مثل يوم أمس، فسأل نقيب الدجاج عن سبب غياب أعضاء نقابته؟ فأجابه: لم يغب أحد كلهم موجودون.

أين هم أيها السيد؟

إنهم يا سيدي في بطون الثعالب، وهكذا كانت الخراف في بطون الذئاب وفق إجابة نقيبهم، فقال لهم: إذا انتهى الصراع بينكم، ولم يبق إلا صراع النقابات، ولن ينجح في الانتخابات التالية إلا خاتم البشر الحيوان العالمي (الثعالب والذئاب).

قال أبي: ومع ذلك لا يمكن أن تتحقق العولمة بالقوة يا بني، ومن يُقَدِّم على تحقيقها تهزمه الخصوصية العنيدة.

معك حق الخصوصية العنيدة هي بيت الداء والدواء، داءٌ لمن يهملها، وشفاء لمن يعتبرها وستظل العولمة بلا مستقبل إذا لم تراع الخصوصيات، فحالتها من حال البشر على المستوى الفردي والجماعي والمجتمعي.

نعم يا ولدي هكذا أنت وبستانك فإذا اتفقتما على شئ ستعيشان في أمان تحت ظل شجرة واحدة وتكون بينكما محبة، وإذا اختلفتما على شئ فظل الشجرة مهما كبر لن يتسع لخصوصياتكما.

والله هذا حق فعندما أحب بستاني في شئ هو يُحبه يُحبنى، وعندما أغضبه في شئ هو يُغضبه يُغضبني. ونحن في حديثنا هذا دق جرس النقال في جيبني فاستأذنت للرد وضغطت على المفتاح فإذا ببستاني غاضباً في قوله: لماذا هذا الغياب؟ لماذا هذا التأخير؟

أسف جداً يا بستاني لقد شدني حديث أبي، ومع ذلك لم يقدر ظرفي فأغضبني مما جعلني أستأذن من أبي لأعود إليه، فأذن لي وهو غير راضٍ عما حدث بيننا، وعندما عدت لبستاني الجميل وجدت أزهاره الشمالية في حالة ذبول نتيجة تأخري عن ريها، فأسرعت بفتح الينبوع بلطف وهدوء حتى لا تجرف قوة اندفاع المياه تربته الخصبة، وبعد لحظات والشمس مشرقة تفتحت زهرات عباد الشمس فابتسم البستان وابتسمتُ، وعلى الفور اتصلت بأبي لأخبره عن فرحتنا بشروق الشمس وببسمات زهرات عبادها، ففرح هو الآخر بفرحتنا، وقلت له عندما نأتي إليك مرة أخرى سأتي إليك بصورة من بستانني لترى صدقي في بسماته.

في بستاننا لا نتعامل مع الصور التي قد تُزيّف بين الحين والآخر، فبستانك أصل رفيع كما رأيت من قبل.

أين رأيتهُ؟

رأيتهُ فيك، (في لسانك وودك، في عينيك وقلبك، في مشاعرك وخيالك، في غضبك وطربك).

نعم إنك بحق عرفته كما أنا أعرفه حبيبي بستانني.

وأعرف يا بني أيضاً ما تعمدت إخفاءه عني، فقلت في نفسي والله إنه قد عرف الأسماء بإذن الله، ولكنه لا يمكن أن يكون علماً الغيوب، وعلى الفور قاطع تفكيري: لا تنزعج يا بني، ما أخفيته عني هو أمر طبيعي.

ما هو؟

لقد حدثتني عن هدوء بستانك ولم تحدثني عن هبات رياحه.

والله حق، ولكن ألم تجد المعذرة لمن يحب؟

نعم، ولكن أنا أبوك.

بالطبيعة يا أبي تشرق الشمس وتغرب وفقاً لحركة الأرض حولها، وبالطبيعة تمطر السماء بما يُفرح البشر وبما يُغضبهم أحياناً، وهكذا حال القمر، فبالرغم من ظهوره قد تحجبه الغيوم المؤقتة، ولكن بالطبيعة ستزول الغيوم ويظهر القمر، وحينها تصفو نفسي بصفاء القمر وصفاء سمائه، وبالطبيعة أيضاً تتأثر أجواؤه وفقاً لدورة الأرض حول الشمس، ووفقاً للمتغيرات المفاجئة التي تطرأ على فصوله الأربعة.

وبما أن الأمر هكذا يا بني إذن من الضرورة أن يحدث الصدام.

لا، اختلاف الفصول يدل على التواصل ولا يدل على الصدام يا أبي.

بما أن اختلاف الفصول لا يدل على الصدام إذن فما علاقة ما تتحدث عنه بصدام الحضارات؟ العلاقة التواصل، فلولا حرارة الصيف ما كانت برودة الشتاء، ولولا اخضرار الربيع ما كان اصفرار الخريف، وهكذا حال الحضارات لولا الحضارة العربية ما كانت الحضارة الأوروبية والأمريكية ولن تكون حضارة من يأتي من بعدهم، ولولا رسالة عيسى ما نُسخت رسالة موسى، ولولا رسالة محمد ما نُسخت رسالة عيسى، وهكذا تتواصل حضارات الأمم والشعوب وتتكامل بالمعرفة وتتصادم بفقدانها.

نعم يا بني إن المعرفة حق طبيعي لمن يريد التواصل مع الآخرين، فلا تحرم أسرتك منها، وثق إنك لن تندم، مصداقاً لقوله تعالى: {يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكرٍ و أنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله اتقاكم}. و عليك أن تعرف أن طبيعة الخلق ذكر وأنثى (آدم وحواء) فعليك بالتواصل دون أن تهجر العمل في بستانك حتى لا تصبح أرضه جدباء وتكون من المعوزين، وإذا أردت التحدي أو التواصل فعليك بالإنتاج وفق الحاجة وكذلك إذا أردت الاحترام.

الحق معك يا أبي فالاتحاد السوفيتي عندما كان منتجاً كان متحدياً  
وكان له الاحترام وعندما أصبح متفككاً ومنتسولاً فقد كل ذلك، وهكذا حال  
الحضارات تقوى بسيادة العقل المدبر والمنتج وتضعف بضعفه.

## - 5 -

عدت إلى بستاني والثقة تملؤني بالتحدي عندما وجدت أسرتي فيه  
تنتج زراعة وصناعة ورعياً وصيداً، فتوجهت مع الشمس لأنقب معهم عن  
معادنه الثمينة، فكلما اكتشفت معدناً ثميناً اكتشفت بسمة ثمينة تصنع قُبلة،  
تجذب القمر، وتجعل بيننا تواملاً لا ينفصم، فكانت في عيون المنتجين  
بسمة تحدّ، وفي عيون المتسولين بياض حزن كظيم. هكذا حالي وبستاني  
عندما تكون البسمة بيننا تُنتج وتتكلم عيوننا مودة، وعندما تغيب نستهلك  
وتجف مآقينا، ولذا تصبح الضرورة للعلاج، فكلما كان العلاج حقاً وفي  
متناول الجميع كلما تفتحت الوجوه مع كل شروق كزهرات بستاني الجميلة  
التي نمت وتفتحت فيه.

كم أحبك يا بستاني وأنت تلاطفني بين الحين والحين، ويا ليتك تسمو  
معي في الحب إلى أن نلامس القمر وتُخرج الآهات من صدري التي عجز  
الأطباء عن إخراجها، وبرغم وجودها في صدري عجزت وسائل التقنية  
الطبية هي الأخرى عن كشفها وتصويرها، ولا يمكن لطبيب أن يشاهدها أو  
يخرجها حتى وإن فُتِحَ صدري، وبإمكان حبيبي إخراجها بملاطفة وهمسة،  
وبدون جراحة تستخدم فيها الشفرات أو تستخدم فيها أشعة الليزر، ويكون  
مفعول الدواء في الحال، أما مفعول أدوية أطباء المعامل والمختبرات لمثل  
هذه الحالة فليس له إلا الفشل، كما فشلت جهودهم في معالجة من يعانون من  
المخمصة.

لا تكرر ما قلت يا بني، لولا جهود الأطباء ما شُفي الكثيرون من أمراضهم.

نعم هذا صحيح، ولكن عندما يعالجون الأسباب، ومعالجة أسباب المخمصة لم تكن بيد الأطباء، إنها بيد من يمتلك ذلك الكيس الكبير.

إذن يا بني: وما الحل؟

الحل أن يُمزق الكيس ويُمكن الجميع من حقهم في التعليم والعمل والتملك بالتساوي.

وهل تعتقد بعد ذلك أن يُشفى الناس من أمراضهم؟ وخرج دون أن ينتظر مني إجابة.

قلت بصوت عالٍ: نعم.. نعم.. والأعمار بيد الله. وعندما سمعتُ أمي صوتي مرتفعاً بما قلت من وراء الربوة الخضراء المعطرة برياحين المسك والزعفران حيث كنت جالساً وأبي صاحت منزعة يا بُني أرجو ألا يكون قد أصيب أبوك بسوء.

إنه بخير.

والدموع من عينيها الحوراوين تنهمر وتلاحق بعضها البعض كحبات التبر على خديها حمداً لله إن بستاني بخير.

ما أجمل الحب والوفاء بينكما يا أمي الحبيبة، ويا ليتنا نتعلم.

لقد عرفتك يا ولدي جالساً على قمة الحب، وعرفتك سائحاً بين محيطاته وخلقاته، ووفياً لسهوله ووديانه، وعرفتك لا تنام إلا وحبيبك في عينيك، ولا ينام إلا وأنت في عينيه.

هذا صحيح يا أعظم أم وأجمل أم.

وما هو الجمال عندكم؟

**الجمال عندنا:** هو الذي يتفتح مع تفتح زهرات النرجس ويشرق مع الشمس، ويسكن في غروبها، ويمتد بين نظرات المحبين بسمة تشدهم إلى

الكامن الذي همس به الجميل. والجميل قابل للإثارة كلما تهيأت له الظروف الرفيعة مما يجعله يثير ويثار بالكلمة والحركة إلى أن يحقق التوحد بالمجرد الأول.

نعم يا ولدي لا ذوق بلا جمال، ولا جمال بلا جميل.

لا أظن ذلك يا أمي، فهناك ذوق بلا جمال، الحلو والمر والمالح والعذب.

معك حق كل هذا (مذاق فطري حيواني)، أما ذاك فهو مذاقنا.

صدقتِ وكذب داروين، كل الحيوانات لم يكن بينها عقد زواج، ولا تقرض شعراً، وتأكل الأعشاب ولا تعرف من أين أتت، ولا تفكر في غزو الفضاء، ولا تعرف الجمال حتى وإن كان فيها.

ومع إيقاعات النسيم شاهدت وأمي نخيل بستاني يميد على أنغامه والرطب يتساقط منه وكأنه مملوء بالعسل النقي، منظر قبل الغروب تزداد فيه النخلة جمالاً، حتى حُيِّل إليّ بأنها عروس جُهزت ورُيِّنت لترقص في ليلة عرسها، مما جعلني أقترّب منها وأسألها: لماذا هذا الشموخ العظيم؟ ولمن ترقصين؟ قالت: يزداد شموخي وتألقي عندما تضرب جذوري في الأرض وتقوى فنتمسك بها ويكون من حقي أن أعتزُّ وأفخر ويكون من حَقك أن تجني ثماري عندما تملؤني وترويني، أما الرقص، فلا أرقص إلا لسماي.

الحمد لله يا بني أني سمعت النخلة تُسبِّح بحمده، وعندما نظرت إلى بستان جارنا شاهدت أشجاره ذابلة، وسماؤه مُغيرة، فنادته متسائلة: لماذا بستانك في حالة جدباء يا بني، وبستان أخيك أخضر وتملؤه الرياحين وسماؤه صافية؟

إن أخي يعمل بنفسه وأسرته في بستانهم، أما أنا وأسرتي فعندنا من يقوم بالفلاحة نيابة عنا.

ولماذا لم تعمل كأخيك وأسرته في بستانك ليخضر، وتَحْفَلْ أشجاره وتبتسم نباتاته؟



المشكلة يا أمي كثرة الآفات وخاصة الصراصير التي يخافها أفراد الأسرة. قلت: نحن تخلصنا منها جميعاً وخاصة الصراصير.

وكيف تخلصتم منها؟

من يوم أن شاهدنا مجموعة منها على حدود بستاننا اجتمعنا لندافع عن خطورة الأمر، إلى أن اكتشفنا مستحضرأ من صنعنا وتوجهنا به لرش أرض بستاننا فسلم إنتاجنا وهاجرت الصراصير إلى بساتين الآخرين.

وما هو هذا المستحضر يا أخي؟

إنه الرياحين التي استحضرتها من عطور بستاننا.

ولكن الرياحين ليست قاتلة!

معك حق، فالحقيقة اثبتت أن الصراصير التي تحب روائح الفضلات أينما كانت تكره الرياحين العطرة وتختنق منها وتهاجر عن أماكنها ومصادر طيبها.

أعطني من عطركم لأتخلص من الصراصير كما تخلصتم أنتم منها.

يا أخي هذا لا يكفي وحده، فإذا عزمت على إصلاح بستانك، فشاور أسرتك والمنتمين إليها ولا تعتمد على غيرك في إصلاح بستانك، فإذا لم تخلص أسرتك في الإصلاح فلا تأمل من الغريب خيراً. ولك الحرية.

هذا الأمر لا أستطيع الفصل فيه برغم اقتناعي ولكن سأعود، وأعود إليك غداً، إلا أنه لم يعد، فذهبت إلى بستانه لأطمئن عليه، فوجدته غارقاً في محاولة لحل مشكلة إضراب من تولوا أمر بستانه نيابة عنه، وبرغم أهمالهم البستان إلا أنهم يطالبونه بزيادة التنازلات، ومع ذلك استجاب لهم من أجل أن يُفك الإضراب.

وبعد يوم جاء إلى بستاني ليشتري العطر ولحم الطير، فجلسنا تحت شجر الزيزفون وهو يصب غضبه على من أجبروه على قبول التنازلات.

لا داعي يا جاري العزيز لشراء العطر إذا لم تحل مشكلتك معهم.

ألم تكن حاضراً بالأمس عندما حُلت المشكلة؟

نعم كنت حاضراً، ولكن ستتكرر غداً وبعد غد، فإذا لم تستطع العمل مع أفراد أسرتك فعليك بمشاركتهم، وإلا ستجد نفسك خارج بستانك وأنت لن تستطيع أن تفعل شيئاً.

من أين لك بهذا الرأي؟

من أبي الذي علمني الحكمة.

هيا بنا إليه لتتعلم.

ذهبنا سوياً، وعندما وصلنا قَبِلْتُ رأس أبي وقبلني وكذلك فعل جاري، إلا أن أبي لم يُقبَلْهُ، وقال له بغضبٍ: ألم أقل لك إن أخوتك وأسرتك هم عَضْدُكَ فلماذا لم تشاركهم في تملك البستان؟ انظر أخاك لو لم يشارك أخوته ما ازدان بستانه، فسأله ماذا يفعل.

قلت كلما تحصلت على أفضل الشتلات المثمرة أو غير المثمرة أدعو أخوتي وأبنائي لغرسها معي وأقول لهم كل من يغرس شجرة فهي له يأكل من ثمارها ويستظل بظلها متى شاء وكيفما يشاء، فوجدت العون منهم وكانوا ليّ عضداً وكنت لهم سنداً. وعندما دخلت أُمي وقفنا للتحية والتقدير، ووقف أبي للترحاب ونظرات كل منهما نزهة للآخر وفي بسماتهما حكاية تكاد أن تنطق بالحب.

فقلت لرفيقي: انظر البحر.

أين هو؟

في عيونهما وشفاههما، فالحب بحر يمكن السباحة والسياحة فيه، والغوص في أعماقه. السياحة بين خلجانه وخلجاته تجعل الحبيب يحس بأنه إنسان يمكن أن يتغير من حالة اليأس إلى حالة الأمل، ومن الغفلة إلى الصحو، ويكتشف أن عينيه قد اكتشفتا له عالماً جديداً لم يره من قبل، مع أنه ليس بالبعيد عنه، فعندما تسبح في البحر بثقة تكتشف الغرائب والعجائب، وقد تكفّر عن ذنوب غفلتك وقد تزداد ذنوباً إذا لم تكن حذراً. وبقدر ما تبتسم

لك أمواج البحر عندما تُقبَل اليابسة بين الحين والآخر، بقدر ما تفاجئك بتيارات قد لا تكون في حساباتك التي عرفتتها من خلال سباحتك السابقة في مناطقه التي فاجأتك بتيارات لم يسبق لك معرفتها، ومع ذلك كُن صادقاً مع البحر. وعندما تكتشف حبيبك غاضباً ثائراً، عليك أن تتبعد عن مواجهته بأسباب غضبه وتلاطفه ليهدأ وليفسح لك في المجال الآمن للسباحة فيه، ولهذا البحر ملاطفة بين المبحرين، فلاطفه، ولا تنس أن أكبر السباحين قد غرق في البحر فلا تغتر. والفرق كبير بين المبحر، وبين المتفرج على البحر، المتفرج عليه لا يمكنه اكتشاف أسراره ومنافعه، أما المبحر فقادر على ذلك. والبحر مغرٍ للسباحة والإبحار فيه، فإذا لم تبخره سيبحره غيرك ويصاحبه، وحينها يحدث الانزعاج والغيرة من مبحريه الجدد. لا تنس أنه البحر الواسع الذي فيه حق للجميع والذي لا يكون فيه أحد على حساب آخر. مما جعله يزداد أمناً وجمالاً بزيادة عدد سباحيه ومبحريه، ولهذا تكون السباحة الانفرادية فيه مخيفة، والركوب الانفرادي خطير، وعليه عندما تبخره في سفينة مع آخرين تكون رحلتك أكثر متعة وأنسأ وتحس بقيم جديدة للبحر تختلف عن تلك التي عرفتتها وانت سابح فيه وحدك، والتي عرفتتها وأنت في حالة سباحة مع الآخرين أو عند ركوبك زورقاً أو قارباً، ولكي تعرف البحر وتكتشف أسراره عليك بإبحاره بطرق مختلفة، وبما تستطيع، وفي مواقيت مختلفة، في أثناء الشروق وفي أثناء الغروب، وفي الليلة القمرية، وكلما تعددت طرق إبحاره كلما اكتشفت قيماً جديدة تزيدك عشقاً له وتمسكاً به، فلا تُضع فرصة حياتك بدون إبحار يقبل بإبحار الآخرين، الذين لا يكونون على حساب إبحارك.

وبعد أن استمعت أُمي إلى ما قصصته عن البحر قالت: هل سبق لك وان زرت بحرنا وسبحت في مياهه الطاهرة؟

لا أنا أتحدث عن البحر الذي في بستاني.

بستان جميل يا بني وبحر عميق ويا ليته يستوعبنا.

البحر يستوعب رحلة الأب والأم والأبناء وتكون السباحة فيه لطيفة  
عندما يستوعب الأسرة بكاملها والأقارب والجيران والأصدقاء وبني الوطن،  
والأمة والأخوة في الدين، وكذلك الأخوة في العولمة بإرادة.

وعندما استمع حبيبي (بستاني) إلى قصتي مع البحر انزعج..

وأنا أين مكاني في بحرك؟..

أنت في مركز النبع، فلا تنزعج يا حبيبي من أحد إلا إذا كان أحد  
يريد إخراجك منه ليحل محلك، حينها ينبغي أن تخاصمه حتى لا تُحرم من  
حقوقك في التملك والتمتع اللذين يريضان النفس والبدن والعقل. وعليك أن  
تميز بين من يدخل البحر على حسابك وبين من يدخله من أجلك، ولا تغضب  
إذا رأيت البعض يلاطف البحر، والبحر يستوعبهم ويفسح لهم في المجال،  
فقد يكون ذلك كله من أجلك. وإذا تبين لك بأن الداخلين فيه يقومون بمهام  
تنظيف ما علق به من بقايا المبحرين الآخرين، وبقايا زيوت السفن والنفايات  
التي ألقيت فيه ليلاً أو نهاراً، فإن كل ذلك من أجل أن تبحر وتسبح في مياهه  
الدافئة بسلام، فلا تغضب لكي لا تُغضب البحر وتفقد كنوزه، من اللؤلؤ  
والمرجان وتفقد فسحته التي تستوعبك كُلُّك على بعضك، وتُنسيك الهموم.  
إنه المجال الذي يتفتق فيه الخيال ويتحقق منه الأمل، والمكان الذي تنتزه فيه  
النفس وتتمتع، وتحفظ فيه الأسرار، إنه الوطن الذي يستوعب سباحة الأمة  
بكاملها. وكل من يرتدي ملابس البحر ويدخله لا يمكن أن تبلله الأمطار  
مهما هطلت، لأن البحر لا يمكن أن تبلله المياه مع أنه المستوعب لمياه  
الأمطار والوديان والأنهار، ولهذا يحفظك ويستوعبك عندما تلتجئ إليه  
ويمكنك من الفسحة والتمتع، وكيفما تشاء يستوعبك، فلا تخجل منه لأنه هو  
الذي يسترك عن الآخرين سواء كنت لابساً، أو عارياً، فخذ راحتك في  
السباحة. فالبحر سترة فلا داعي للتستر عنه ولا يضايقك. بل الذي يضايقك  
هو الآخر الذي لا ينتمي إليه، والذي لا يقدر غرامك للبحر، فكن مستوراً  
أمام البحر حتى لا تُكتشف عورتك فيغضب، ومن يدخله بوعي يكون آمناً،  
وحتى إن ركب معك الملايين أو سبحوا ستظل بالنسبة إلى البحر أنت الذي  
لا يقارنك بأحد، وعندما تعرف حقيقة ذلك تعتز بأنك أبحرت وتفتخر ببحرك  
الذي يستوعب الملايين دون أن يغدر بك أو يتركك، ولهذا يتغنى بالبحر

الذي يستوعب الجميع، دون أن يتخلى عن أحد أو يبذل احداً بآخر، فلكل واحد مكان في البحر، للأمم مكانها وللأب مكانه، وكذلك للأخوة والأحباب والأقارب، وكل من له حق، وإذا تساءل أحد: لماذا كل هذا البحر مالح؟ عليه أن يعرف لولا ملوحة البحر ما تطهرت أجسامنا، وتذوقنا حلاوة طعامنا، وما تيسرت سباحتنا وما تنزهنا، ولهذا تطوّرنا وركبنا البحر الذي وجد من أجلنا.

ولكن هل كل من يركب البحر يمكنه السباحة الآمنة فيه؟

في اعتقادي لا. إلا بعد معرفة واعية بقوانين العوم وممارسة السباحة بحذر. فتَح عينيك ولا تخش ملوحة البحر التي فيها الشفاء للجسد من بعض الأمراض، حتى تتمكن من رؤية ما لم يره من لم يبحر بعد، ولا تعتمد على عينيك فقط حتى لا تكون كالأسماك التي تفتح أعينها وتسير إلى الأمام إلى أن تقع في شباك الصيادين دون أن تدري. فعليك أن تدرك أن في البحر الصيادين وفيه العجائب النافعة والضارة، والكائنات والنباتات والجبال والوديان البحرية، والكنوز المختلفة، والدفء الذي يعطي للحياة معنى.

حافظ على نظافة البحر من أجل نُزهتك ونزهة الآخرين ولا تفكر أن تحيطه بسياج لتجعل له بوابة تكون أنت حارسها أو رقيباً عليها. إذا فكرت في ذلك فعليك أن تعرف أن أمواجه سنثور وتزيح كل سياج، ويُقبَل اليابسة في الليل والنهار ليؤكد للجميع أن من طبيعته المد والجزر، خاصة عندما يشاكي القمر والقمر (تشاكيه، لأنه مرآتها التي ترى وجهها فيه لكي تحافظ على جمالها أمام عشاقها).

ولكن هل البحر واحد؟

هناك بحار، الأبيض والأسود والأحمر والأزرق والميت، ألوان من البحار والماء واحد، هذه مسميات فمن يعتمد على عينيه فقط قد يُخدع وهكذا بقية الحواس، فالمُبحر بالعاطفة كفاقد البصر تستوي عنده الألوان، أما المُبحر بالعقل والفكر فقادر على الاختيار، ويعرف أن البحر لم يكن مرآة للقمر فقط، بل مرآة للنجوم والكواكب، ولكل من يريد أن يرى وجهه على حقيقته. هذه مسائل طبيعية لا بد وأن تحدث بإرادة. والحب الذي يحدث

بإرادة هو الذي يكون الإبحار فيه بالتداعي والتناغم الوجداني الذي يجعل من الأحاد أزواجاً.

قال بستاني على لسان أحد بساتين النيل المؤدّبة كلام جميل ولكن غير معقول فلا يمكن أن تقنعني بأن يحدث التعدد ولا تحدث الغيرة.

في البحر الواحد يا بستاني يتعدد المبحرون سباحة وركوباً، دون أن يغضب أو يغار أحد من آخر، ولكن إذا حاول أحدهم أخذ مكان الآخر يحدث التماس. فالقلب الواحد يحب الملايين في وقت واحد، فعندما يكون فرداً واحداً يتساوى الحب فيه وتكون القاعدة: حب على واحد يساوي واحداً. وعندما يكون زوج وزوجة تكون القاعدة: حب على اثنين يساوي نصفاً، وعندما يكون زوج وزوجة وأبناؤهما الخمسة تكون القاعدة: حب على سبعة يساوي سبعاً، وهكذا يتعدد المحبون في القلب الواحد كما يتعدد أبناء الأمة في الوطن الواحد دون أي غيرة، إلى أن يستوعب الحب الآخرين الذين لا يكون حب أحدهم على حساب الآخر، هذا هو الحب بالإرادة. أما الحب بقرار فسينتهي بانتهاء أسباب القرار مما يجعل بحرك يا حبيبي أسود أو أحمر أو ميتاً، ولهذا عليك أن تعرف قبل أن تُبحر، وإلا ستغرق أو تُغرق عندما تكون من الغافلين، فحب الإرادة تتساوى فيه كفتا الميزان بين المحبين ولا يكون لعبة، بل إنه خاصية طبيعية مستمدة من حب المخلوق للخالق.

قال رفيقي صاحب البستان المُغبر: الآن فهمت أهمية الحب في اخضرار بستانك وتزين أشجاره وعضوبة مياه بحيرته وصفاء سمائه وعمق بحره ووفرة إنتاجه. وتدخل أبي مضيفاً: نأمل أن تستفيد من نجاح تجربة أخيك وفشل تجربتك، وطلب مني أن أخبره عن المراحل والمعاناة التي مررت بها وشكلت جزءاً من تجربتي وقصة إبحاري.

بدأت تجربة إبحاري عندما كنت أتنزه على شواطئ البحر الجميلة التي شدتني إليه بالمشاهدة والملاحظة اللتين أثارتا في نفسي رغبة لدخوله. فمن خلال المشاهدة تنعكس مياه البحر وأمواجه في عيني المشاهد، وعندما يحس بلطف أمواجه وصفاء مائه يكون للملاحظة شأن من خلال الإصغاء لنغماتها التي تشده إلى البحر، وتمكنه من التعرف على أسراره وجماله مع

الفجر والشروق والغروب ومع القمر، وتنقله من الظاهر إلى الكامن، من مشاهدة المتحرك (البحر) إلى أسراره وقوانينه التي ينتظم عليها.

ثم تعمقت هذه التجربة بالاستئناس للبحر الذي يتحقق بالإرادة من أجل ما يحس به المبحر من معنى يجعل له قوة تجاذب مع البحر بالتمعن فيه والإصغاء لأمواجه، وإلى ما يحيط به أو يدخله، ويزداد الاستئناس إلى البحر بالاستئناس إلى المبحرين من خلال الملاحظة بأهمية البحر في حياة الأفراد والجماعات والمجتمعات.

ومن خلال الاستئناس يحدث اكتشاف الحسن وهو الذي يمكن المبحرين من اكتشاف قدراتهم الفكرية ويجعلهم قادرين على التغني به عرفاناً بأهميته، واستعداداً لدخوله بعد تردد عن خوفن وإذا حدث الدخول إليه دون حذر في هذه الخطوة فقد يحدث الغرق، فالبحر لا يستجيب لكل من يدخله لمجرد مشاهدة أو ملاحظة حسنة، بل يستجيب لمن يلاطفه في أثناء ممارسة السياحة فيه، فلا تدخل البحر إلا بقدر ما تستطيع أن تخرج منه بإرادة وإلا ستجد نفسك في القاع.

ولا تنس أن في اكتشاف الحسن تحدث الصحة (صحة العاطفة) وهي اليقظة الإنسانية بأهمية البحر في الحياة، واكتشاف المناغاة الوجدانية، وتعلم كيفية استخدامها في التعامل مع المبحر الآخر الذي صحت عنده عاطفة الإبحار. ولكن لا تنس أن هذه الصحة غريزة حيوانية فطرية فلا ينبغي أن تفقد الإنسان، بل يجب على الإنسان أن يقودها لتكون تحت ضبط الضمير الاجتماعي وتحقق نجاح المبحر.

وصحة العاطفة تؤدي بالضرورة إلى عشق البحر، وهذا يعني التعلق به بعد معرفة قوانينه التي ينتظم عليها، والتي تشد المبحرين إليه، وبعد إحساسهم بالطمأنينة والارتياح في أثناء السباحة. وعشق الإبحار بوعي قد يمكن المبحر من اتخاذ قراره الصائب.

وبعد هذا، يتمتع المبحرون بالبحر بعد مصاحبته واكتشاف أسراره والتعرف على كنوزه وتعلم قانون العوم والحكمة من ورائه فالبحر سترة لكل مبحر، لأنه لباس لا تبلله المياه، فمن يريد النجاة من اليابسة الجدياء

التي تكثر عليها الأكاذيب وتتناقل فيها الإشاعات فعليه بالبحر الذي يستوعبه مع من يرافقه إلى النهاية، فيكون لحياتهما معنى ومن وراء لقائهما حكمة.

وفور انتهائي من هذه القصة وقفتُ أمي وصافحتني ونظرت إلى أبي وهو يبادلها النظرات المبتسمة حتى إنها أخبرته من خلالها عما دار بيننا من حديث، وحينها دار بين عيني وعيني بستاني حوار عميق رأيت فيه كل الأزهار التي غرستها فيه دون أن ينطق أحدنا بكلمة مسموعة أو مهموس بها، ونحن في عمق المحاوراة نظر والدي إلنيا، وقال: ما أجمل حديثكما! قلت: إننا لم نتحدث بشئ يا أبي فابتسم ووجهً ابتسامته تجاه أمي، فأجابته: ما يباح عندنا نعتز به وما يباح عندهم يخجلهم.

ولكن هذه يا ابني حقوق فلا ينبغي التفريط فيها!

فأجابته أمي: المصيبة الكبرى تنحصر في تفريط ابنك الآخر في بستانه وفقاً لعقد أخذت نصوصه من عقد جان جاك روسو.

نعم يا أبي إنه تفريط في كل شئ، وإذا لم يتجه للبديل سيجد نفسه مثل الخروف الذي كتب على رأسه تحيا الذئاب وتسقط الخراف، وعندما سأله الثعلب لماذا هذا الشعار الزائف وأنت تعرف أنكم أعداء إلى النهاية فأجابه: ولهذا كتبتُ هذا الشعار على رأسي لأقول لهم مالا أستطيع قوله. هزّ الثعلب رأسه وقال: ألم تعرف أنك ستكون الضحية سواء كتبت هذا الشعار على رأسك أو لم تكتبه؟

قال الخروف: أيها الثعلب، لو تعرضت لمثل هذا الموقف فماذا تفعل؟

أشتم الأعداء جهراً في حضورهم وغيابهم، وخرج الثعلب يشتم الذئاب والكلاب بقوله لعن الله الذئاب و... وقبل أن يضيف الكلاب إلى اللعنة وجد كلباً على مقربة منه إلا أنه ينظر إلى الجهة الأخرى، فصاح الثعلب بصوت عالٍ تحيا الكلاب وتسقط الثعالب والذئاب واختفى في ظل الخروف لكي لا يُشاهد.

فضحك الخروف مستهجناً موقف الثعلب: ألم أقل لك لا تقل ما لن تستطيع فعله. ولا تنس أن أفضل السباحين قد غرق في البحر.



قال: إذا نجوت الآن من هذه ستعرف أنني أنا الذي أغرقت المبحر.

فسأله الخروف: لماذا أغرقته؟

لكي تعلم أن فوق كل ذي علم عليمًا.

## - 6 -

ما أجمل الحكمة حتى ولو كانت من أفواه غير عاقلة، وما أجمل العقل عندما يستوعبها ويتعظ بها، ويا ليت شجرة الزيتون تتعظ وتعرف الحكمة من قوله تعالى: {زيتونة لا شرقية ولا غربية يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار نور على نور يهدي الله لنوره من يشاء ويضرب الله الأمثال للناس والله بكل شيء عليم}. زيتونة جميلة في السهول والوديان وعلى قمم الجبال وعلى شواطئ البحار وتزداد جمالاً عندما تتكاثر كغابة ممتدة من المحيط إلى الخليج ومن البحر والجزر المحيطة به إلى الصحراء الكبرى وما وراءها، أبوابها عظيمة من باب المنذب إلى قناة السويس وجبل طارق، جزرها كعيني صقر ترصد كل كبيرة وصغيرة تدرك النور ثم تدرك به ما تبصره، ولا عيب فيها إلا كثرة النوم، ويا ليتها لا تنام لتحمي نفسها من الأعداء الذين دخلوها وجنوا ثمارها لينيروا بزيتها بلدانهم ويتركوها في الظلام، وسلبوا أوراقها فأصبحت عارية بلا سترة والعرق يتصبب منها من شدة الخجل، ومع طول الزمن ضمرت ساقاها وأصبحتا كساقى النعامة فلا خشية ولا عرق يتصبب، أرضها غنية بالورد الأحمر والأصفر ولوني العنب والبادنجان، وفي عمقها زنبق أسود يسر الناظرين بائعين ومشتريين، وكلما أسبح في خلجانها ومحيطاتها أتذكر خصر حبيبتني عندما أرسمها كما رسمت من السماء. وكلما أتتزه فيها أشعر بأنني أتتزه في بستاني الذي نطق بلسانها حباً كما هي نطقت، فانسجمت وأخوتي بلحنها ونحن على سلالم موسيقاها صعوداً ونزولاً، ولهذا عندما هي تغني الكل يغني، وعندما ترقص الكل يرقص، وعندما تصرخ الكل يصرخ، وعندما تنام تضعف وتصبح بلا ذاكرة.. فيا ليتها تتذكر لكي لا تنام.

في تاريخها قوة ارتعد منها قلب الأسد وانتشر نورها في الهند والسند وفي ما وراء البحار والمحيطات فكان لها بالكلمة الطيبة التواصل والترابط

والقوة والاحترام.. كلمة زيتونتي طيبة كالنخلة الطيبة الضاربة بجذورها في الأرض والمتألقة بفروعها في السماء، تناغي الأبناء وتجذب الأحياء وتغضب الأعداء، ولا تجنح للسلم إلا إذا هم جنحوا له، فالشجرة الطيبة والكلمة الطيبة دائماً جذورها ضاربة في الأرض وفروعها متألقة في السماء، أما الشجرة الخبيثة فجذورها فوق الأرض يسهل اجتثاثها، ولهذا شجرة الزيتون أم ضاربة في الأرض مهما عمل الأعداء بقوة لاجتثاثها لن يتسنى لهم ذلك، إنها تعيش في الوجدان وتنمو في المشاعر والأحاسيس ومنحوتة في الذاكرة فلا تضيع ولا تُنسى إلا إذا ضاعت الذاكرة. وللأم فضل علينا من حملها ورضاعتها وسهرها علينا ورعايتها لنا، فهي التي أضعنا الحنان والحب فلها الحق علينا بالرعاية والمعاملة الحسنة وأن نغرس في نفسها كل يوم نخلة طيبة أصلها ثابت وفروعها في السماء لكي نفوز برضاها، فرضاء الوالدين من رضا الله {وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحساناً إما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أفٍ ولا تنهرهما وقل لهما قولاً كريماً واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل ربّ أرحمهما كما أرحماني صغيراً} ربّ أرحمهما كما ربياني صغيراً، وارحم شجرة الزيتون التي أنجبتهما فأنجبتني من صلبها وروتني من زيتها الذي ثبت طبيياً بأنه الشافي من أمراض الكلسترول، فعندما يمر بنوره في الشرايين يطهرها من الرواسب الدهنية الضارة، فيرتاح القلب ويؤدي مهمته بعدها بنجاح من أجل أن تسلم الروح والبدن، فمن يريد أن يحفظ حبيبه في قلبه فعليه أن يُطهر قلبه بزيت الزيتون أولاً ليدخل حبيبه فيه ثانياً، وكذلك قبل أن تقرر الاستقرار في قلب حبيبك طالبه هو الآخر بأن يطهر قلبه بزيت الزيتون مما علق به أولاً ليفسح لك الميدان نظيفاً ثانياً، وإذا لم تفعل ذلك فستجد نفسك مختنقاً في مضايق الشرايين وحينها لن ينفعك الندم.

الزيتونة مع أنها تتحمل العطش إلا أنها لا تتحمل الأوساخ، شعارها النظافة تقوي الإيمان والوساخة تكثر ذبابة حفار الساق.

بعد استماع طويل قال أبي: يبدو أنك تحب أمك أكثر مني!

يا والدي العزيز إنكما كفتنا ميزان ومركز كما قلبي، والأم التي أتحدث عنها هي الزيتونة.

ولماذا لم أكن أنا الزيتونة؟

أنت الأرض التي ضُربت فيها جذور الزيتون، وأنت الطاقة التي تستمد منها قوة تألقها في السماء، فلولاك ما اخضرت ولولاها ما عرفت الجمال.

مع أنني متأكد من تساوي حُبنا في كفتي الميزان إلا أنني سألت ليطمئن قلبي. فأنا الأرض لأن عناصر خلقي منها، وأمك الزيتون لأن عناصر خلقها منها، ولهذا فإن عناصر بستانك وعناصرك من أديم أمك وأديمي فلا يحق لك أن تعتذ بأحدنا على حساب الآخر إذا أردت رضانا. وعليك أن تُكثر من زراعة الحُب في بستانك لتجني ثماره الوفرة.

أبي ألا ترى أن الحب لا يُزرع فهو لم يكن بقولا ولا حبوباً حتى تحرضني على زراعته، ويا ليت له بذور، ضحك وهو يقول: بما أنك لا تشك أن عناصر بستانك كلها من عناصر تكويني، فكيف إذن تشك أو تستغرب في زراعة الحب ونموه فيها؟

الآن فهمت، إن تربة بستانني صالحة لزراعة الحب، وإن بذوره مغروسة في شجرة الزيتون المغروسة في أديم أبي، فلولا حب أبي لهذه الشجرة ما كانت بذور الحب فيها، وبرضاعتنا من زيتها فاض الحب فينا، ففضنا به على بساتيننا وعلى من استظل بظلها معنا حتى تأخينا في حبها.

زيتونة جميلة تسر الناظرين إلا حفار الساق الملعون الذي اعتدى عليها فنخر جذعها وفروعها وأغصانها من أجل أن يسكن في لبها، ولكن كلما نخر جذعاً أو فرعاً أو غصناً كلما أظهرت البديل الأفضل، ففي الجزائر قضى حفار الساق على ما يزيد عن المليون ورقة زيتون بنخره للغصن، فقاومت الزيتون بقوة مناعتها إلى أن تغلبت على معظم خلايا هذه الحشرة الضارة للحياة والسلام وضيقت الخناق على أمهاتها بمنع الأكسجين من الدخول إلى لبها، فمات الكثير وفر ما تبقى وتحررت الجزائر من حفار الساق وأمراضه، وهكذا نخر حفار الساق من قبل ذلك وقضى على مليون إلا ربع ورقة زيتونة في ليبيا، ولم يستطع بعد ذلك نتيجة المقاومة العنيفة للزيتونة وأغصانها المباركة التي ضيقت الخناق عليه في المدن والقرى وفي

السهول والجبال فكان لها النصر وكانت له الهزيمة، وهكذا قاومت أغصان الزيتون العظيمة في مصر والسودان وفي الشام الجميل وفي العراق والجزيرة وفي تونس الخضراء والمغرب الأصيل. هكذا كسبت الزيتون العربية المناعة على امتداد شواطئها ومحيطاتها وخلجانها، وعلى امتداد وديانها وأنهارها وسهولها وجبالها.

ذبابة حفار الساق مرض يتربّص الفرص بالزيتونة الضعيفة من أجل أن يمتص خيراتها ويقضي عليها لتكون خريبتها ميداناً جغرافياً للحياة الآمنة له ولخلائفه من بعده. ولكن الزيتون المتكاثفة الضاربة في الأرض من الصعب اجتثاثها أو القضاء عليها حتى وإن نُخرت بعض أغصانها. وسألني أبي: لماذا تضع ذبابة حفار الساق الزيتون في مرتبة الأعداء الأولى؟

لأنها تعرف يا أبي أنه لو تجمعت حبات الزيتون لا نتجت زيتاً كثيراً لو تُرثش به أو ينتشر في الأرض تكون نهايتها، وذلك لأنه وسط غير صالح لحياتها وحياة الحشرات والجراثيم، فهي زيتونة مباركة تفيد الأصحاء وتشفى المرضى وتقضي على الحشرات.

ذبابة حفار الساق أساليبيها متغيرة وفقاً لأطوار نموها مما يجعلها دائماً تُظهر مالا تبطن، فالعداء مع الزيتون بالنسبة إليها ضرورة لا بد منها، فعلى الزيتون أن تُصدّق ما تبطنه ذبابة حفار الساق ولا تُصدّق ما تظهره لها حتى وإن أعلنت التوبة، حتى لا تكون كالفأر الذي صدّق بأن القط بعد أن أدى فريضة الحج قد تخلص من العداء التاريخي معه.

قال أبي: وضح ذلك

في الأشهر الحرم يا أبي لا قتال ولا اقتتال إلا إذا كُتِبَ على المسلمين وهو كره لهم، ولهذا تظاهر القط بحسن النية خلال هذه الفترة مع الفأر، خاصة وأنه ينوي أداء فريضة الحج، ذهب القط إلى الحج ليكفّر عن سيئاته التي وضعت عليه أوزاراً من الذنوب، وقضى مناسكه طوافاً وسعيّاً وتبركاً بالمقامات والآيات العظام، وبعد عودته إلى بلاده، فرح الأهل والجيران بعودته، وعندما سمعت الفئران بعودته تنادت لتناقش الأمر، واتفق الجمع على الذهاب إلى القط وتهنئته لأداء الفريضة باستثناء فأر واحد اعترض

على ذهاب الفئران إلى القط، معللاً ذلك بأنه عدو لهم، ولأجدادهم الأبرار، فلا ينبغي الذهاب إليه، ومع ذلك ذهب الجمع إلى الحاج لمباركة الحجة إلا ذلك الفأر، وعندما وصل جمع الفئران، عانقها الحاج بحرارة وعانقته الفئران بخوف، وجلس الجميع لتبادل أطراف الحديث بينهم، وفي خلال هذه الفترة قام الحاج ببعض الحركات الاستعراضية وكان عندما يتذكر أنه حاج، يحاول أن يهدئ نفسه ويبدأ في توزيع الابتسامات على كل فأر وكأن بينه وبينهم مودة، ومع أنها فترة قصيرة جداً إلا أن الفئران شعرت بها فترة طويلة نتيجة الخوف الذي يملأ الصدور. وعندما رجع جمع الفئران إلى بيوتهم حمد لهم ذلك الفأر المعارض الله على سلامتهم من العدو، وسألهم كيف حال الحاج بعد عودته؟ فأجاب الجمع: (نشهد بالله أنه حاج، وبسمات الحجاج عليه، وشنباته رفرفات والقفزة (النطة) لازالت فيه).

هذا حال ذبابة حفار الساق التي تدعي بأنها ثابتة ولم تعد بعد ذلك تنوي العدا مع الزيتونة. وهي في حقيقة الأمر ليست كذلك. ولهذا تكون حجة القط، مع أنه لم يقف بعرفة، كإعلان ذبابة حفار الساق للتوبة مع أنها لازالت كافرة.

وقفتُ وأبي للتنزه في السهول وبين ظلال اشجار غابتنا الكثيفة، إلى أن سعدنا فوق القمم العالية التي تُطل على غابات تحيط بشجرتنا المباركة، فتساءلت: لمن هذه الغابات؟ وفي أي تربة تنمو؟ أجابني، إنها غابات لأشجار المانجو وأشجار التفاح وأشجار الشاي، وأخرى من أشجار السدر والأثل، وجميعها تنمو في تربتي. فقلت: إذن الأصل واحد.

نعم وأنا الأب، ولهذا أنتم أخوة فيجب أن تزرعوا المودة بينكم.

هذا ما ينبغي أن يكون يا أبي عندما تزرع جميع البساتين بالحب، ولكن ما هو كائن أن ابنيك قابيل وهابيل زرعاً بذور الكراهية في الكيس نفسه الذي تكدست فيه بذور الحب، والذي ازداد حجمه اتساعاً بعد أن تولت الحكومة البيع والشراء، والتصدير والتوريد واستصلاح الأراضي نيابة عن الناس.

هذا ليس عيباً يا ابني.

نعم ليس عيباً، ولكن عندما يقوم الناس بهذه المهمة دون نيابة عن أحد سيكونون حريصين على ما يستوردون أو يستزرعون ويصدرون، ولكن عندما تقوم بها الحكومة يتولى هذه المهمة مؤجرون لا يهتمهم ما يستوردون بقدر ما تهمهم أجرتهم، ولهذا أصبح الغش بيننا يباع ويشترى في الأسواق ويزرع في البساتين أكثر مما يستزرع الحب.

ها أنت عرفت ما يُزرع يُحصد، سواء أكان حُباً أو كرهاً، فالحب الذي غرس بيني وبين أمك أثمر حُباً في حصاده بينكم، والكره الذي زرع بين أخويكم أثمر كرهاً في حصاده بينكم، ومع ذلك أنتم أخوة وأصلكم واحد ولا فرق بينكم إلا في المعرفة، فأشجار الغابات التي تحيط بغابتكم أصلها من طينة واحدة وما الاختلاف بين أنواعها إلا اختلاف في درجة تمرکز أو تشتت بعض العناصر المكونة لكل شجرة، فالإنسان واحد سواء أكان أسود أو أصفر أو أحمر أو أبيض وسواء أكانت عيناه واسعتين أو على درجات من التضيق ومهما تلونتاً، وسواء أكان طويلاً أو قصيراً، ذكر أو أنثى، معاقاً أو غير معاق، في القطبين أو ما بينهما.

معك حق، لا اختلاف بين الأشجار بما أنها مخلوقة من طينة واحدة، كالحوانات لا اختلاف بينها من حيث خلقها من طينة واحدة تتميز بها عن طينة خلق الإنسان الذي يتميز بها هو الآخر عن طينة خلق الشجرة. الاختلاف بين من يعرف وبين من لا يعرف، ولا اختلاف بين الغابات، الاختلاف بين من تمتلكهم الغابات أو بين من يمتلكونها، فالأشجار المثمرة بطبيعتها مسالمة فإذا رميتها بحجرة ترمي إليك من ثمارها، أما من تمتلكهم الشجرة فقد يرمونك بضربة قاتلة إذا لاحظوا أنك ترمي شجرتهم بالحجارة، وعليه عندما يكون لكل غابة خصوصية فلا يمكن أن يكون بينها صدام أو صراع، بل الصراع يحدث بين البشر المنتميين إلى هذه الشجرة أو تلك فالشجرة كمثال عالمية كالإنسان كمثال، ولا اختلاف على الشجرة أو الإنسان بل الاختلاف يحدث في ثمار الشجرة مع من يمتلكها.

نعم لقد اصبت يا بني لا اختلاف مع الملك العام، مثل الأكسجين ملك عام لا صدام عليه ولا صراع إلا إذا وضع في اسطوانات فيصبح خاصاً أو محتكراً ويكون الصراع عليه، ولذا لا اختلاف إلا مع الخاص، فالشجرة

العامة هي الشجرة المثال لا اختلاف عليها، أما ثمارها الخاصة فيكون الاختلاف على ثمنها وفي مذاقها ولونها وحجمها والفيتامينات المتمركزة فيها، فعندما تغرس شتلة عنب فلا تجبر الآخرين على شرب عصير ثمارها المحرّم من قبل الخصوصية الصحية أو العرفية أو الدينية، ولكي لا تتحرف تذكر قوله تعالى: {لكم دينكم ولي دين} فشجرة التفاح كشجرة الزيتون والرمان لا اختلاف عليها كشجرة بل الاختلاف حول ثمارها، ولهذا لا ينبغي أن تعمم ثمار التفاح على حساب ثمار الزيتون والرمان أو أي ثمار أخرى، وإذا حاول أحد تعميمها عنوة فبالضرورة ستُرفض من قبل الخصوصية التي قد لا تكون في حاجة إلى هذا التعميم القسري، والحاجة مطلب بدني أو عقلي (طبيعي أو ثقافي) ولكل منها غرض إشباع، والإشباع مالم يكن بالتراضي يُقاوم، وإذا تم من غير تراضٍ يحقق الندم أو المرض، ولكي تسلم ولا تندم فلا تعمم خصوصيتك على حساب خصوصيات الآخرين. ومن يحاول تعميم ذلك لا بد وأن تهزمه الخصوصية العنيدة وترغمه على الرحيل أينما حل.

لم أفهم!

ألم تعرف قصة أتحدث مع ظلي؟

لا.

إنها يا بني قصة الفقير الذي مر بقربه الحاكم، فلاحظ أنه يتحدث وحده دون أن يكون معه أحد، فاقترب منه وسأله مع من تتحدث؟ فأجابه مع نفسي. فسأله الحاكم مرة أخرى ولماذا تحدثها؟ فأجابه الفقير: إذا لم أحدثها أنا فمن هو الأقرب مني إليها ليحدثها نيابة عني. وسأله الحاكم أين هي نفسك؟ فأشار إلى ظله وقال: إنني أحدث ظلي الذي يتهمني بأنني السبب في مشاكله وعدم ثباته، ولعله على حق في ذلك. جلس الحاكم بجانبه ليستمع إلى حوراهما، فقال الظل لصاحبه مرة ثانية أنت سبب مشاكلي وعدم ثباتي.

لا تظلمني لم أكن أنا، بل الشمس الحارقة، فقال الظل: لا تعمم الأحكام. فسأله صاحبه: ماذا تقصد بذلك؟ فقال: أقصد أن الشمس لم تكن حارقة بالنسبة إليّ، ولكنها حارقة بالنسبة إليك وحدك.



ابتسم الحاكم لجدية الحوار الذي يدور بينهما، وقال لهما: لا داعي أن يشتد الخلاف بينكما وأنتما رفيقان، وقبل أن أغادر لتأدية مهامتي، أود أن أعرف أسباب مشكلتكما. فسأله الفقير: هل تقرأ أيها الحاكم؟ فأجابه نعم. فكتب الفقير على ظله (سارق الدولة لا يحاكم وسارق الخبز تقطع يده) فسأله الحاكم: من هو سارق الدولة يا هذا؟

إنهما اثنان: أحدهما خارجي والآخر داخلي، الخارجي ذبابة حفار الساق، والداخلي أنت كما قال لي ظلي، فأرحل خير لك من أن تُرَحَّل.

# - 7 -

الآن فهمت: إن من يستخدم القوة في غير محلها ستهزمه الإرادة، وعرفت أيضاً أن من لا يعرف بأن هناك تماثلاً بين النوع والجنس، والرغبات والغرائز، والمرضى والمعافين لا يمكن أن يعرف أهمية الحاجة، ولن يشهد في عهده أبواب المنازل مفتوحة وأهلها آمنين، ولن يميز بين السارق والمسروق. فالقوة حجة قد تبطل الباطل وتحق الحق وقد تؤدي إلى عكس هذا الغرض، فالذي جعل من الفقير خير متحدث مع ظله هو الحاجة نتيجة القوة المستخدمة في غير محلها مما جعل للإدارة معنى، فلو استخدمت في محلها فلا يمكن أن يكون في الدولة فقير وغني ولا حاكم ولا محكوم، وبما أنها مؤسسة على هذه المعطيات المتناقضة فبالضرورة أن يكثر فيها السرّاق والمهربون والغشاشون، ويتزعزع الأمن ولا يستقر إلى أن يستتب على التماثل القيمي بين الأفراد والجماعات والأمم والشعوب.

في الإرادة تماثل الرغبة والاستجابة بين من يتزعزع في وردة وبين من تترعرع فيه، فالدمعة على خذي الوردة تماثل الوردة في عيني الدمعة، فعندما دخلت جيوش البستان ساحات الوطن شاهدوها احتلالاً، رفع الجنود راياتهم الخضراء على كل شبر من ترابنا، وجيوشنا رفعت أيديها بالإرادة، وتغنوا بالأناشيد التي تغنت بها جيوشنا عندما رفعت جيوشه أيديها للمبررات المتماثلة عندما غزونا ساحاته بإرادة، فكانت الدمعة على خذي البستان فرحة، تعبر عن الدفء الذي فُقد، والذي من فراقه اختفت الدمعة. هكذا كانت الدمعة بيني وبين بستاني قزحية متجددة، مملوءة بالفرحة والاحتجاج ومرارة الوحدة والغربة، في لحظة اللقاء اختفينا في بعضنا البعض من طول الليالي والأيام التي انقضت، ومن الفراغ والسكون، ومن التقلب على الجانبين دون نزهة بيننا، واختفينا تحت راية واحدة ظفرناها من زهرات الياسمين والنرجس والفل الأبيض لتعبر عن التماثل، فكأنه العيد

يتجدد، يوم ولدنا، وبعد الصيام، وبعد النجاة، وبعد الدخول بعد التماثل، فكان لقاء نسيج الخلايا فيه حفيفاً، وصوت عميق يدق سريعاً، ليفتح صدرًا فيه جريح يدق خفياً ليعلن حباً كان وفيًا، وصوت السكون في قلب ليلٍ كان ضحية تبدد مع الفجر مؤذن لتصحو العصافير ونصحو.

ما أجمل التنزه مع الدمعة حينما تنتزه بإرادة على خدي حبيبي، هي الصدق فإذا لم تكن لن يكون. فمن تُقدمه دمعة التماثل راغباً أو معتذراً تقبله الإرادة، ومن يشاكي بدمع لا تماثل فيه يُعطي له منديل ليجفف به الدمع من على خديه، فدمعة الفرح تُماثل دمعه الحزن مما يجعل بين الصدق والكذب تماثلاً يستوجب الحذر.

قوات محتشدة على الحدود ترفض الاحتلال، قررت الموت في سبيل الحرية، تحب زمن المفاوضات الطويل من أجل التماثل. فلا تقبل التسرع، وعندما تقرر تحقق النصر أو تستشهد في سبيل الوطن الذي يتخندق في كل خلية منه جندي وجندية متراصين جنباً إلى جنب، جسد واحد لا مكان فيه لغير خلاياه، عيناه برجا مراقبة لا تنامان، وأذناه مركزا تنصت ورصد، عقله غرفة عمليات، ضميره مخزن ذخيرة، فؤاده مركز إمداد، يده قوة استطاع وإنتاج، وقدماه قوة إقدام، ولسان أمره شوري وذوقه رفيع، وهكذا تتعدد التخصصات بتعدد خلاياه، قوة لا تقهر عندما تقوم كل خلية بدورها ووظيفتها لتنتج حسب حاجتها وحاجة من يبادلها الحاجة، ففي قوة البدن سلامة من الأمراض عندما لا تفتقر خلية من خلاياه إلى حاجتها، أو عندما لا تنتج ما يزيد عنها على حساب غيرها.

البدن الذي لم يتخندق في كل خلية منه جندي وجندية سيتعرض للغزو من قبل الأعداء والأحباء بالتماثل، فحين كان بستاني أرضاً بوراً غزوته بالعمار، وحين كنت مثله غزاني واختفى في كل خلية من خلاياي كما أنا اختفيت فيه، وبعد حين نما كل منا في الآخر وترعرع. فكانت قوة التجاذب بيننا قوة حصون وقلاع تواجه أي قوة أجنبية. تصادق من يصادقنا وتعادي من يعاديننا.

حبيبي بعد أن كان أرضاً بوراً أصبح بستاناً أخضر فيه العمار من كل ما لذ وطاب، وبعد أن نضجت بذوره وازهرت تفتحت وأثمرت وتكاثرت. فأضحى بستاني الشجرة المباركة التي تحدثنا عن زيتها ونورها، إنها الحبيبة التي عُرسَتْ أغصانها في كل خلية من خلاياي، فارويها من نهري الشريان والوريد وأستظلُّ بها من كل حر، إنها حبيبتني بستاني التي تستوي عندي في سبيلها كفتا الحياة والموت. إنها ابنة آدم العذراء التي حافظت على جمالها ولسانها، وشعرها الأسود غابة كثيفة لا تتأثر بحرارة الصيف ولا تؤثر فيها برودة الشتاء. فهي لم تكن كتلك الشجرة التي تتبدل أوراقها مع كل خريف، عيناها سوداوان نُحِتتا في وسط بياض ناصع، وشفاتها وردة حمراء كلما ابتسمت ظهر البدر بينهما، صدرها قطعة من الجنة مملوءة بالحكمة، خصرها خلجان، النزهة فيها متعة سباحة وسياحة، وجهها قمري ولسانها حُجة قول حق، حُطَّاهَا ثابتة، فازت على أخواتها فوُضِعَ تاج الجمال على رأسها ونُصِّبَتْ ملكة على الجميع، سقطت دموعها من الفرحة وتناثرت كحبات لؤلؤ في أيادي الأطفال، حملت هذه الأمانة التي أبت الجبال أن تحملها، فكانت الصدارة لها في المحافل والمقامات العظام، كريمة محتشمة ذواقة للفن وممارسة له ترقص متى تشاء وكيفما تشاء لنفسها، ولا تحب أن تكشف عن ساقها لترقص لغيرها.

التنزه بين الناس متعة تكسوها فرحة عندما تكون بالتمائل، ولدت في ديار اليمن السعيد وتوَّجت في ديار مكة والمدينة، وتنزهت بعلومها في نهري دجلة وفرات والشام، ودخلت مصر آمنة مستقرة إلى أن توجهت إلى شمال افريقية فعمرتها بالحكمة، ثم خلعت التاج والأساور والحلي من عليها ووضعتها على قمة جبل طارق من أجل إحياء حفلة دعيت لها، لتشارك في ذكرى التقاء مياه البحر الأبيض المتوسط مع مياه المحيط الأطلسي وتعبر إلى الشمال.

كان الطقس بارداً والشمس مُغربة وجسمها لم يجف بعد من مياه العبور التي ابتلت بها، حاولت أن تمتد في اليابسة لتلحق بالشمس قبل أن تغرب، ولكن التعب كان الأكثر حملاً مما جعلها تركز إلى الراحة فنامت في وسط الثلج مرتعدة فوهنت.

عادت إلى جبل طارق على متن سفينة سرعتها أبطأ من سرعة سباحتها، وهي تعبر المضيق إلى الشمال سُرق تاجها وأساورها وحليها التي حُزّنت في مدينتي سبتة ومليلة، نصبت خيمتها في الرباط على عجالة خوفاً من الخطر الذي يلاحقها، فكان دفاعها عن النفس صلابة وعن الشرف تحدياً، فبنت القلاع والحصون من أجل السلامة، فأبنة آدم العذراء ضعيفة عندما تنام وقوية عندما تصحو.

أغاني الذكر التي جاءت بها إلى بلاد الفرس والسند والهند والصين والتركمانستان وجزر المحيط الهادي وحدت المقامات بين أبنائها، حتى أصبح لسانهم لسانها وعلمهم من علمها، فنّها المعماري في كل الصوامع والمآذن زخرفة تشد الفنانين والذواقين إلى الجمال في رحلة العقل من المشاهد إلى المجرد. صوت بلال في المدينة ومكة هو صوتها في المشارق والمغرب، والموشحات الأندلسية موشحاتها، كلنا عشقنا الليل من أجل أن يظهر القمر ويغني لنا بصوته الندي (يا حبيبي تعال) تعال لنتوحد ونسهر مع القمر حتى لا نضعف فنفضل (وتذهب ريحنا).

ظهر القمر على خشبة المسرح بصحبة فرقته الصوتية من النجوم المتألئة التي ملأت الخشبة، فتقدمها الجمال ليقدمها إلى مشاهديها، فكان صوته صوتها ومزاجه مزاجها، وذوقه نوقها، صمت الجميع للجمال، والجمال في القمر متوحد كتوحد الروح في البدن، توقفت عيون المشاهدين عن الرمش وكأنها عدسات تسجيل ثابتة، ما أجمل القمر وما أعظم الخالق، قمر يغني! ونجوم ترقص! ومشاهدون صامتون منبهرون! وعند الفجر بدأ الانسحاب من على خشبة المسرح في خشية وخطا ثابتة، ولم ينته حتى الشروق من كثرة لوحات العارضين، عند الشروق وجدت يدي في يدي حبيبي!

فقلت: منذ متى يا حبيبي أنت هنا؟

منذ أن ظهرتُ على خشبة المسرح.

يا إلهي هل فقدت عقلي إلى هذه الدرجة التي لا أستطيع فيها التمييز!!

لا تتهرب، سمعتك وأنت منبهر تغني مرة حبيبتني بستان، ومرة أخرى  
بستاني حبيبي، فلِمَنْ تغني؟

أغني في الأولى إلى غصن الزيتون يا حبيبتني، وفي الثانية أغني إلى  
الزيتونة حبيبتني، فهل فهمت يا غصن الزيتون؟

ظهر البدر بين شففتيها إجابة. وقالت: وإلى من ستغني؟

سأغني يا حبيبتني إلى البستان العظيم البستان السرمدي الذي يتنعم  
فيه الشهداء والصدّيقون من الرسل والأنبياء والصالحين البستان الذي تظهر  
فيه الشمس والقمر معاً في ليلة دخلة وهما يشدان يدي بعضهما بعضاً، فلا  
يكون الليل ليلاً، ولا يكون النهار نهاراً، يوم جديد لا يغرب العروسان عنه،  
سترة القمر البيضاء تختلط مع سترة الشمس الذهبية، فتلتحف الشمس ببياض  
القمر، ويلتحف القمر بذهبية الشمس، منظر لم يشاهد من قبل، واقع يفوق  
الخيال.

الناس فيه لا عرب ولا عجم ولا سود ولا بيض، أناس استمدوا نورهم  
من النور الذي توحدت به الشمس والقمر، النور الذي امتلأت به صدورهم  
في الماضي أصبح بين أيديهم مشاهداً في البستان العظيم ذي الأشجار الكثيفة  
المملوءة بنور العروسين، فلا الظل ولا الحرور، أشجار متنوعة متدلّية  
ثمارها كل حين.

الزمن الماضي دفن ولن يبعث من جديد مثله مثل زمن المستقبل،  
الزمن المستمر هو زمن الديمومة التي تستمر معها اللذة دون انقطاع والذوق  
دون انقطاع، لأنها حياة الفردوس المملوءة بالسعادة التي يبحث عنها الحكماء  
ولم يعيشوها في حياتهم الدنيا، فعندما تشرب الماء أو اللبن أو الخمر الشافي  
أو تُقبّل حورية أو تعاشرها فاللذة تبقى معك سرمديّة، ولا تفارقك مثل ما  
تفارقك اللذة في هذه الحياة، ولذا فهي تختلف عن اللذة المؤقتة التي يمر بها  
البشر قبل حياتهم في البستان العظيم، والتي تتأثر بمرور الزمن عليها، والذي  
يجعلها في كل برهة أو ثانية تمر في الزمن الماضي نسياً منسياً.

قُتِل الموت فكانت الحياة الدائمة في بستان الكمال. التنقل فيه لمن يشاء ومتى يشاء وكيفما يشاء، لا شرطة ولا بوابات تفتيش ولا جمارك، ولا نسوة مجندات للمتابعة ولا عاهرات معابد. البستان الذي عرضه السماوات والأرض هو المنزل المقدس للأخوة الذين ملأ النور صدورهم، فبدل الأخوة القلة الأخوة الكثرة، ولهذا لا مكان فيه لغيرهم فمن ولد وحيداً في البستان الصغير سيجد مئات الملايين من الأخوة الصديقين في البستان الكبير.

الثروة وفرة مثل الأكسجين لا أحد يتضايق من الآخر عندما يأخذ نصيبه منه ولا يمكن لأحد أن يأخذ منه أكثر من حاجته، هكذا على سبيل التقريب توزع ثمار البستان ذاتياً، الشراب بجميع أنواعه أنهار جارية لذة للشاربين. لا خوف ولا تردد ولا حشمة فيما أحل الله تعالى ولا تستر ولا دوار وقئ كما هو الحال في البستان الصغير. أرض البستان بكر ثرية وغنية بكل شئ إلا (البترول)، لا حاجة للناس فيه، الطقس معتدل لا الظل ولا الحرور، ولا مصانع ولا سيارات ولا قاطرات ولا طائرات، هذه مصادر تلوث فليس لها مكان هناك، كل شئ وفرة فلا احتياج، التنزه والمتعة واللذة والإشباع سيادة في النفس، الإنسان يستطيع أن يمشي ويستطيع أن يطير مثل الملائكة من مكان إلى آخر، والسُرر الموضونة منتشرة في كل مكان لمن يريد أن يستريح متعة. والولدان المخلدون في كل مكان لتوفير الراحة لمن أنعم الله عليهم بدخول البستان العظيم.

النظر مرفوع الحجاب عنه فيتم التعرف على الكائنات والأرواح على حقائقها، فلا مس بين المالكين للبستان ولا خوف ولا غش، لأنه لا ضرورة لممارسة الديمقراطية، ولا وجود للبائعين والمشتريين. فلا يدخل أحد البستان إلا إذا دفع ثمن الحياة فيه مسبقاً، ليس بالعملة التي تزور بين الحين والآخر بل بما لا يزور، ولهذا لا عملة ورقية ولا ذهبية ولا مقايضة بين الناس، وسبب الوفرة الإخلاص في الأعمال التي قام بها الناس في حياتهم.

كلمة المنافسة غير موجودة في القاموس، فالوفرة بالطريقة الأكسوجينية لا تستوجب منافسة، إنها حياة الفطرة، حتى الولدان المخلدون الذين يقومون بالخدمة لا تنافس بينهم فيما يقدمون، بل بينهم التعاون والوحدة المنظمة ذاتياً وفق نظام دقيق لا ميكنة فيه، لا استيراد ولا تصدير ولا عملة

صعبة، الصعوبة أن تتاجر في البستان الصغير بأمانة وتبيع وتشتري دون  
تطفيف في الكيل والميزان ودون سرقة وتزوير، ومن يخن الأمانة تصبح  
تجارته حطباً يضاف إلى نار هو الذي سيشوى عليها.

نتكلم عن نظام وحياء رفاهية وبدون حكومة!؟

نعم يا حبيبتى، لا مكانة للحكومات المحكومة باتفاقيات القات  
ومعاهدات الحماية والمرهونات للمصارف الدولية، كل الحكومات التي  
وضعت الناس في القمامة ستصبح موضع قمامة وفقاً للقانون الطبيعي الذي  
يتساوى فيه الناس أمام الملك القدوس.

ولكن كيف سيُطبّق القانون؟

تدخل أبي موضحاً: سيطبق بالنظام الذاتي الذي يجعل السحاب ركماً  
ثم يخرج الودق منه، والذي يجعل البحرين في مرج وبينهما برزخٌ ليحافظ  
على خصوصية كل منهما فلا يكون أحدهما على حساب الآخر، ومن حقكما  
يا بني أن تستغربا فالإنسان في البستان الصغير لم يكن له من العقل إلا  
جزئية بسيطة في حيزٍ صغير منه. ولذا يعد الإنسان بالنسبة إلينا خارج  
العقل، أما في البستان العظيم فسيصبح عقلاً متكاملًا وله العلم التام.

بما أن الأمر هكذا يا أبي إذن لا وجود لحقار الساق، ولا وجود  
للعلاء والاستخبارات التي تفرق بين المرء وزوجه، ولا وجود للتجنيد  
الإجباري ولا حتى للانتخابات التي علّمت التلاميذ التزوير في الامتحانات  
وعلمتهم الصلاة في المساجد من غير وضوء وفي المنازل من غير ظهارة.

حفار الساق يا ابنتي ويا ابني غلبة وفساد، والتجنيد الإجباري للعبيد،  
والبستان العظيم قانونه الإرادة الحرة فلا يمكن أن يكون فيه مكان للفساد ولا  
سيد ومسود ولا فقراء ولا عملاء، هذه وغيرها من قواميسكم التي صغتموها.

يا إلهي، حياة طبيعية يا والدي ولا وجود فيها لذبابة حفار الساق التي  
نخرت زيتونتنا وبعض الأشجار الأخرى ونشرت بيننا الأمراض وفي  
نفوسنا الرعب! إذن صحتنا ستكون جيدة إذا لم تصبنا الملاريا والدُوزنتاريا  
والسرطان والسيدا.



من يدخل بستان الأمان يا أبنائي فهو آمن من كل سوء ثيابه خضراء  
من سُندس وإستبرق ويُسقى من ماء معين، أما الآفات والسموم والعذاب  
والمرض فهي في نار جهنم مع وقودها من الناس والحجارة لا يغالون إلا  
بماء كالمُهَلِّ.

أي أناس تعني يا والدي؟

العملاء، ومطففو الكيل والميزان، وخائنوا الأمانات، ومزورو  
الانتخابات، والعاهرات والزناة، وقاتلوا النفس التي حرم الله قتلها إلا بالحق،  
وأكلو السحت، وأبو لهب والزنادقة وغيرهم من مرتكبي الفواحش.

إذن لا مجاملات ولا نفاق ولا كذب ولا غش ولا تزوير في البستان  
العظيم.

نعم، لا وجود لها يا أبنائي لعدم توفر عناصرها كما هو متوفر في  
دنياكم التي يتواجد فيها الشئ ونقيضه في وقتٍ واحد مما جعل الشك فيكم  
وبينكم وفيما تعملون.

إذن من حق الحكومة أن تجند من بيننا رجال المباحث والاستخبارات  
المتمرسين في معركة الشك. ومن حق رجال إعلامها تغطية الأحداث، قبل  
المباراة وفي اثنائها وبعدها لكي لا تزور النتائج ويسود الحق بين اللاعبين،  
كما فعل وزير إعلام إحدى الدول عندما لعب رئيسه مباراة لكرة الجولف  
مع أحد المرؤوسين.

قال: أخبرني عما حدث.

### لعبة الجولف والاختيار المناسب:

حضر جمع من ممارسي وهواة لعبة الجولف إلى الميدان الذي  
يمارس فيه الرئيس هذه اللعبة مع أحد المرؤوسين، وعندما أصاب المرؤوس  
الهدف بتفوق صفق له المتفرجون بحرارة، وصفقوا بحرارة أكثر عندما  
لعب الرئيس ولم يصب الهدف، ففرح الرئيس برضا المتفرجين عليه مع أنه  
غاضب على سوء أدائه، وعندما اقترب الرئيس من المتفرجين في أثناء  
خروجه قال لهم: أشكركم على التشجيع، ولكن لماذا المبالغة في التشجيع

وأنا لم أصب الهدف بنجاح؟ فقالوا له: إننا أقسمنا لو حققت الهدف لن نلعب هذه اللعبة ثانية، وتعد محرمة علينا من تاريخه، ولهذا فرحنا بعدم إصابتك الهدف، فغضب الرئيس منهم، والتفت إلى وزير إعلامه وسأله: وانت لماذا تصفق يا هذا؟

لقد رأيتك يا سيدي وقد أصبت الهدف بإحدى الكرتين.

أية كرتين تعني؟

منذ البداية وأنا أشاهدك تلعب بكرتين، فصاح الجمهور انظر إلى عينيه، إنه أحول العينين، أحول العينين، فغضب الرئيس من الجمهور وقال: لا وربى لم يكن أحول العينين، ولكن بعد أن عُين وزيراً للإعلام غضبت عينه اليسرى من عينه اليمنى فحدث بينهما أبغض الحلال عند الله .

وفي صباح الغد الباكر كتبت الصحف تصريحاً لوزير الاعلام يقول فيه: فاز الرئيس في مباراة لعبة الجولف بإجمالي عدد نقاط لم يسبق للاعب أن حققها، وعندما قرأ الرئيس هذه الصحف فرح وقال: هكذا ينبغي ديمقراطياً أن يوضع الشخص المناسب في المكان المناسب.

## - 8 -

ما بني على باطل فهو باطل.

هل كل ما يبني على باطل هو باطل حتى ولو كان رأي منجم.

نعم يا بني، ولهذا لا مكان للمنجمين في البستان العظيم.

إذن قصة كذب المنجمون ولو صدقوا هذه حقيقة.

نعم حقيقة.

فقال أخي صاحب البستان المُغبر: يا أبتِ لم أسمع بها من قبل.

فطلب أبي أن أقصصها على أخي لعله يتعلم.

كذب المنجمون ولو صدقوا:

مع أن القرن العشرين أمتاز عن غيره من القرون التي سبقته بالحدائثة وغزو الفضاء إلا أنه متحسر على نفسه وخائف على نهايته بدخول القرن الواحد والعشرين، والذي يتوقع أن يكون أفضل منه تقدماً ورقياً في مجالات العلم والتقنية التي لم يؤت منها إلا قليلاً، خاصة بعد أن أكد له ذلك منجمه الخاص الذي استدعاه لاستقراء هذا الشأن، وذلك لثقتة فيه في ما يقول. فجعله المستشار الأول في رسم سياسة الدولة الداخلية والخارجية، وفي حالة السلم وحالة الحرب، هكذا كان القرن العشرون هو عصر التقنية وعصر الثقة في المنجمين.

وذات يوم غضب القرن العشرون من منجمه حينما دعاه للاستشارة من أجل دخول الحرب وخوضها ضد إحدى البلدان المعادية له ولسياسته، وبعد الاستشارة المنبثقة من عبقرية المنجم الذي أشار بدخول الحرب دون

تردد والنصر المؤزر حليف للقرن العشرين، بعدها قرر العصر دخول الحرب، وبعد أيام من خوضها انهزمت جيوشه. فدعا العصر منجمه على الفور ليقتله نتيجة كذبه، فقال المنجم بخوف وحذر وهو يرد على سؤال القرن العشرين لماذا كذبت أيها المنجم؟ فأجاب: أنا لم يخل بي التجيم إلا مرة واحدة في العمر، وما ظننت أن تكون هذه المرة، فسأل العصر المنجم قبل أن يقتله: ما هو المتوقع بعد موتك؟ فبكى المنجم قليلاً وقال: إنك ستموت يا سيدي بعد موتي بيوم واحد فقط، فاندھش العصر من هذا الخبر المؤلم الذي لا يطيقه والذي قد يصدق، في حينها طلب العصر من حراسه ورجال الأمن الابتعاد عن المنجم وفك القيد من يديه، وإبعاد المشنقة التي أعدت لهذا الغرض، وطلب من رجال أمنه رعاية المنجم والحفاظ عليه من كل شر، وأن يعيش في أفضل الأماكن وتحت أحسن الظروف، ولهذا كذب المنجمون ولو صدقوا، مصداقاً لقوله تعالى: {قل لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا هو مولانا}.

قال أخي: في هذه القصة حال الحاكم كحال المريض المتكئ على ميت، فقال له أبي: ومثل حالك أنت في الاعتماد على المؤجرين والأجانب في رعاية بستانك المُجذب، إن لم تعمل خيراً في بستانك مثل أخيك فلن يكون لك نصيب في البستان العظيم، ولن تتحرر من الخوف إلا إذا قضيت عليه.

كيف لا نخاف يا أبت والفقر يملأ دنيانا، والاستعمار يتربص بنا الدوائر، وأجهزة الأمن سيف مسلط علينا.

لا فقر مع الإنتاج يا بني، ولا استعمار مع ملء الفراغ، ولا أجهزة أمن مع سيادة الإرادة بالتمائل، وهذه كلها تدفن الخوف إلى الأبد.

نعم سينتهي كل خوف إلا الخوف من الموت فلن ينتهي.

يا ابني: الخوف من الظلم فاجتنبوه، والموت لم يكن ظلاماً، ولهذا لن تستطيعوا اجتنابه، ولماذا تخافون الموت المعرّض هو الآخر للموت؟ فالموت منته والصالحون منكم باقون من بعده، فمن يتحدى الموت تُكتب له الحياة السرمدية. الموت حق لا وجود له إلا في عالم الحياة الدنيا.

قال صاحب البستان المغير: هل هذا يعني عدم وجود الموت في  
بستانكم العظيم يا أبت؟

فتعجبت قائلاً: ألم تعرف هذا من قبل يا جاري!؟

نعم، لم أعرفه من قبل، وكأنك ستقول لي إنك على بينة من أمره قبل  
هذا اليوم!

نعم على بينة منذ أن آمنت بأن وراء كل مخلوق خالقاً، يومها آمنت  
عن وعي بأن الخالق لا يموت والمخلوق لا بد من موته الموتة الأولى، وبما  
أن الموت ليس بخالق إذن لا بد من موته هو الآخر.

هل الموت موتان كما فهمت من قولك الموتة الأولى!؟

الموت موتتان فلا تستغرب، الأولى للحياة، والثانية له. فإذا مُتَّ ثم  
قُتِلَ الموت ستكون بإذن الله في البستان العظيم إن كنت من الصالحين وإن  
كنت من غيرهم ستكون من الغابرين.

يا إلهي عليك توكلت، وانصرف مسرعاً، فناداه أبي: إلى أين؟

إلى العمل الصالح الذي يقتل الموت عني، حتى لا أعيش مرتين في  
العبودية. أَرغب العيش معكم لا مع رُزْم الحطب، سأستغني عن الأجانب  
في بستانني، وسأقاوم الظلم، وسأنتج مع أسرتي ولن أقبل أجرة تعطى أو  
تؤخذ، ومن اليوم لا يجب أن يثق أحد في حراستي، لأنني لا أثق في حراسة  
أحد.

والله لو لم أوْمَن بقول الله تعالى: {إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا  
ما بأنفسهم} ما صدّقت أن حال جاري سيتغير.

عاد إلى بستانه عند الفجر فلم يجد غير الطيور الداجنة، دق باب  
المنزل، فلا مجيب، سأل الغفير: أين هم؟

ذهب جميعهم إلى حضور مسرحيتك المفضلة.

أية مسرحية يا هذا؟

مسرحية النوم يا سيدي.

ولماذا لم تذهب معهم؟

انتظرك فقط.

ها قد جئتمكم، ودخل عليهم وهم في عمق يتابعون المسرحية، فلم يتمكن من فك الشباك بينهم وبينها، وكان مسأً قد أصابهم، الظهر على المقربة والمسرحية لم تنته بعد، انتهى العرض الأول وبدأ العرض الثاني، دخل جميع العاملين إلى المسرحية بين الوقتين (الظهر والعصر) خرجوا للراحة ثم عادوا إليها بين الوقتين (المغرب والعشاء)، مسرحية تدور فصولها مع دوران الأرض حول نفسها. البستان يزداد غُباراً، وأفراد الأسرة يزدادون وهنا على وهنٍ، والعاملون المؤجرون يطالبون بزيادة الأجرة، ركب الجرار وداهم دار العرض، جاء الوقتان والعرض لم يبدأ، أخرج الأجنب مخرجي المسرحية، واخرج المؤجرون أعضاء الفرقة الصوتية بعد استلامهم المكافأة، و عرض الأمر: إما الإنتاج الذاتي وإما الأجرة. فلأولى مزاياها وللثانية عيوبها، الأولى من يزرع ويغرس شجرة يمتلك ثمارها ويستظل بظلها، والثانية عرض وطلب ليس لها ظل إلا ظل السوق. فكان القرار للأولى من البعض والثانية للبعض الآخر مما جعل المنتجين منهم باعة والمؤجرين منهم مشتريين.

سكن أصحاب الأشجار في مساكن فسيحة ورفيعة، وسكن المؤجرون في ظل السوق بين الآبار السوداء وبقايا الخضروات المتعفنة، حيث لا مكان لهم في البستان الذي أصبح مزداناً بالورود والرياحين والثمار المختلف ألوانها بعد أن كان ميداناً تلعب فيه الرياح كلما هبّت ومن أي اتجاه.

صاحت طيور الوز عند منتصف الليل حينما وطئت قدم الغريب أرض البستان، صحا الجميع على أصواتها فجأة، قُبض على اللص قبل أن يقطف التفاحة، من أنت؟

من بني تغلب.

أين تسكن؟

في السوق.

ألم تجد تفاحاً فيه لتشتريه؟

ثمنه غير متوفر عندي.

قال الجميع: سرقة التفاحة لا توفر لك الثمن مع أنها توفر لك الإشباع المؤقت، إنتاجها هو الثمن المستمر للإشباع والحرية، وسرقتها ثمن كافٍ للعبودية التي لحقت بك من ضحك الوز عليك.

قال كبيرهم: خذ التفاحة وعُدّ لتدخل المسرحية التي هُدت جدرانها عندنا فلم تعد تعرض إلا وفق الحاجة، أو هدّ الجدران واخرج إلى الميدان متحدياً. قبل التفاحة ولم يقبل التحدي فقبض عليه في السوق لصاً.

جاء الشفق الأحمر رسالة غروب فركبتُ القارب لأجِد فيه نُزْهة، بياض وسواد يكسوه اللون الذهبي ذو الإشعاع المتمركز بين ضفتيه، أمواجه أرجوحة من السكون تنفصل حيناً وتتصل حيناً آخر، لامس بصري السماء الممتد منها الشفق الأحمر فوجدتها القطب الشمالي، وعندما لامست الأرض بيدي وجدتها القطب الجنوبي، نظرت شمالاً وجنوباً فوجدت نفسي في عيني بستاني المملوءتين بالاحتجاج، غياب من الشروق إلى الغروب! وتساقطت بعض حبات التبر على خديه، وازداد الشفق الأحمر امتداداً بين سماء عينيه، فقرأت الاحتجاج وعرفت أن ظهور الشفق هو احتجاج على التأخير، وإعلان بأن الشمس ستشرق من جديد. وضعنا أيادينا في راحتها، أين كنت؟

كنت أتزّه في بستان الزيتون يا بستاني.

أرجو ألا يكون تنزهك فيه على حسابي.

كل في مكانه البستان الصغير والبستان الكبير.

ماذا تقول؟! تمتلك بستانيين على حسابي ومن وراء ظهري!.

لا لم يكونا على حسابك، ولا أنت على حسابهما، كل في مكانه حب ووفاء ورحمة، لا أحد ضرة على الآخر. جاء وقت الفجر والسماء ملبدة بالغيوم، مخاض ولادة بين الفرحة والألم، فكان الفجر مولود المعاناة، فلا

أجمل من صفاء عينيك يا بستاني الصغير ولا أجمل من الشفق بينهما، ولا  
أجمل من شفق السماء على بستاني الكبير.

ومن يكون البستان الأكبر؟

العولمة، بستان المستقبل الذي أعمل من أجله، فاعملي لكي نحيا معاً  
في ميادينها الواسعة.

يا إله العولمة التي باسمها تحاصر ليبيا وتدمر المدن في العراق على  
سكانها هي التي أنت تعمل من أجلها يا حبيبي!.

لا.. لا يا حبيبي هذه ليست بالعولمة، هذا حفار الساق الذي نخر  
زيتونتنا وجعلها مصفرة وأغصانها باهتة متفرقة بعد أن كانت متكاثفة، زيتها  
العطري أصبح بلا رائحة، حشرة حفار الساق آفة ضارة لا تحط بقواتها  
على الأرض الجذباء لتعمرها، بل تحط بها على الأرض الخضراء لتعيش  
من خيراتها ولا تخرج منها إلا بعد أن تصبح جذباء، أسنانها جيوش قاضمة  
وصواريخ مدمرة، ألسنتها آليات عبور، لعابها سوائل كيميائية قاتلة،  
ورائحها النتنة غازات سامة، فإن لم تقاوم سيعم المرض والفقر والجهل بين  
الناس، فالخلاف معها بالطبيعة، أما العولمة التي أعنيها فلا مرض ولا فقر  
ولا جهل، أرضها الخضراء صالحة لحياة المحبين فقط فلا مكان فيها  
للغابرين والحاقدين والمحتاجين، ولا مكان فيها للسجون والسجانين، ولا  
حاجة إلى البوليس والتجنيد الإجباري ولا الجواسيس والعملاء، ولا لسراق  
الحب وفاقدي الحواس، الإشباع والوفرة نعيم بين الناس بالتساوي، الخالق  
واحد والمخلوقون واحد، لا حاكم ومحكوم.

وكأنك تتكلم عن الفردوس المفقود!

نعم الفردوس الذي فقده أبي وأمي عندما أغويا، والذي عادا إليه بعد  
أن استفادا من الدرس. إنه المكان الوحيد الذي ستتحقق فيه العولمة بين  
العاملين عليها والعاملين فيها.



ها هي يدي في يدك بما أن العولمة لم تكن السيطرة على مجلس الأمن وتعميم سوق المظالم وتهديد وتدمير منازل من لا يركع لغير الله. وبما أنها الوفرة والحب بين الناس فأنا أحبك وأحب العولمة.

وأنا كذلك أحبك يا وفرة، أسهرُ مع القمر، وأصحو مع الفجر، وأتبدد مع الشفق لأتجرد فيك، عناق طويل كله دفء الصحوة فيه عمق السكون، فؤادٌ يناغي الفؤاد، لغة اللسان المسموعة في لحظات الصمت لا تُكتب، تُوحدُ كله تماثل، بين الشفتين تماثل، وبين النبضات تماثل، وكذلك في كل غفلة وصحوة جمال التدفق فيه لا تراه الأعين مع أنه يُروض النفس والبدن، يتجدد الصباح مع كل يوم ولا يتكرر، الملاطفة تخترق مجال الإدراك إلى اللاوعي لتقتل الندم بالوفرة. كلمة الرضاء لذة لا تنقطع ومتعة لا تتبدد تنطق في العينين قصة، تُنشر في الفجر لتعم بالتماثل.

وكأنك تعيش في بستاننا يا بني، فقد حدثني أخوك قبل أن يصلح حاله وبستانه بأن الحياة عندكم مملوءة بالمناعة الكاذبة والعواطف المزيفة، ولكن ما سمعته من حديث بينك وبين بستانك، كأنه حديث من بستاننا، فأنا كل يوم أخلع اسوري وما أرتدي لأسبح في عيني أبيك الحوراوين أغوص إلى القاع لأمشي على زرابي مشاعره المبتوثة وأتكئ على نمارق أحاسيسه المصفوفة، وعندما نلتقي في الغوص لا ينام أبوك إلا بين حناني وحبني وعلى حلمتي كاعبي ودّي التي نشرت الجمال في نفوس اللؤلؤ والمرجان الذي يتزيّن بزينتنا كلما رآنا، لا غفلة بيننا فيما نحن فيه حيث لا مكان للنسيان في ذاكرتنا، كم أحب الغوص والسباحة في عيني أبيك، بحر أمان في بستان أمان، لا وجود لسماك القرش والأسماك المؤذية في بحارنا ومحيطاتنا الآمنة التي تستقبلنا بحرارة ودفء كلما دخلناها تحبنا كما نحن، ونسبح فيها كما هي تسبح فينا، عندما نخرج وأبوك يتدلى لنا رطب النخيل وثمار الرمان والعنب بين الورود التي تتسابق نحونا لتقبلنا.

يا إلهي ما هذا الحديث السحري الذي جعلني متجرداً من الحشمة وكأنني في البستان العظيم! ولكي نخرج من الموضوع قلت: يا أمي ما قاله أخي في هذا الأمر صواب، لأن أكثرنا لا يفقه وأكثرنا لا يعقل وأكثرنا جاهل

فكان النفاق والكذب بين بعضنا في حالة تنزه وإقامة ينام ويصحو من أجل أن يُزيّف الحقائق ويغرر بالبعض.

نور المدينة مضاء واللص لم يقبض عليه، السفن تطلق مزاميرها فلا تميز الشرطة بين مزامير المغادرة ومزامير الوصول. وعندما ينهمر المطر ويشتد البرد تفك مناوبة الشرطة بمناوبة من لم يقبض عليهم في المرة الأولى، فيكثر الطلاق بين من اشتروا بستان العاطفة بثمن بستان الحب فكان كل شئ مزورا، البيان غموض (والدبلة) الذهبية نحاس والعاقل مجنون، والمسافة بين النهدين لا تساوي المسافة بين المحبين، ويا ليتها.

## - 9 -

فُجر ملهى ببرلين ليلاً فكان الضحايا كثيرين، جاء البوليس ولم يعثر على الفاعل، تحركت الاستخبارات الأمريكية والأوروبية بعد أن سمعت الخبر، اتصلت بكل عملائها في العالم لكي تعرف من الفاعل، فلم تعرف أحداً، استدعت منجم القرن العشرين ليحدد الفاعل بدقة، وقبل أن يبدأ عملية التنجيم سألهم من تتهمون؟ فقالوا بالإجماع إيران وسوريا وليبيا، ففتح أصابع يده اليمنى ليحدد الجاني بدقة. وبدأ بإيران الخنصر، وسوريا البنصر، وليبيا الوسطى، واستمر في الحساب إلى السبابة إيران والإبهام سوريا، وعندما انتهت الأصابع ولا زالت ليبيا في فمه ولم يجد لها ما يماثلها من أصابع يده اليمنى فقال هي الفاعلة الهاربة لأنني لم أجدها.

تلبدت الغيوم في سماء الزيتونة فرح البعض ممن قرأها مطراً وفرح البعض الذي قرأها عاصفة، بعد منتصف الليل بدأت العاصفة على المدينة المضاعة أنوارها، صوت الانفجارات وركام الدخان غطى سماء المدينتين في طرابلس وبنغازي، فزع الناس من نومهم، صوت الرعد قد بدأ، فُتحت النوافذ والمطر لم يسقط بعد، دخل الدخان إلى المنازل، اختنق النائمون والذين ينتظرون سقوط المطر، تساقطت المنازل وتناثرت الشظايا بين أوراق غصن الزيتونة التي تناثرت أشلاء منها مع الشظايا المتطايرة من قوة الانفجار، بدأت زغاريد المضادات ثم زغاريد الأسماك في البحر الأبيض المتوسط التي تطالب بالمزيد، أُطفئت أضواء المدينة وتزينت سماؤها بشهاب رصد، أشرقت الشمس على الزيتونة صباحاً وغصنها لم يسقط، تجددت أوراق الغصن تحدياً برسم خط الموت 32.5°، خرجت الجماهير إلى الشواطئ فوجدت الأسماك متنعمة فكتبوا معها مقولة على قارب التحدي (نحن في انتظاركم وكذلك الأسماك).

انسحبت الأساطيل تجرُ أذيال الهزيمة بتحدي غصن واحدٍ من أغصان الزيتون التي لم تتدخل في الأمر وكأنه لا يعنيه. طلب من الغصن أن يركع ويسجد للأساطيل فلم يركع ولم يسجد.

اركع.

لا نركع لغير الله.

اسجد.

لا نسجد لغير الله.

كل الضغوط التي رفض أن يركع لها الغصن الواحد ركعت لها أغصان مجلس الأمن الموقر مشتملة. فُرض الحصار الجوي فكانت الزيتون أول من نفذ المقاطعة على غصنها فلذة كبدها، غُصن يتحدى وأغصان تستسلم ولا أدري من سيُرضي من؟

تساءل الناس: إلى متى؟ فلا مجيب. أغصان حزاني وغصن حزين. أشلاء الأطفال في الشوارع متناثرة مع أشلاء العرسان ليلة الزفاف، العناوين صامتة، والمظاهرات تمزق العلم الأمريكي، تدوسه بالأرجل تحرقه بلا خوف تضامناً مع الغُصن، مقبرة الشهداء امتلأت حرساً، البنادق والورود معاً، قُدمتُ الورود إلى أرواح الشهداء، وظلت البنادق بأيدينا تحرس بتحد. اخترقنا الحصار إلى بيت الله تحد، اخترق الحصار إلى القمة تحدٍ وإلى أفريقيا تحدٍ. ترحيب بالأفارقة المتحدين الحصار بطائراتهم وهتافاتهم تحدٍ.

التفت الغصن إلى بقية الأغصان المرتبطة معه بجذع الزيتون، ما بكم؟ ولماذا هذا الصمت؟ وإلى متى؟ ومن أجل من؟ كل الإجابات مُخرجة فلا إجابة.

لُبُدت الغيوم السماء من جديد فكانت الكويت ضحية إعصار غضب، والعراق ضحية زلزلة حقد، فلم تمطر السماء على كليهما الغيث النافع، كره الناس الليل الذي أصبح مصدر إزعاج بعد أن كان لباساً، وأمسى الأطفال والمرضى والعرسان لا ينتظرون الليل سكيناً ولباساً، ينتظرونه خوفاً وقلقاً

ورعباً، فلا قيمة للزواج ولا قيمة للطلاق، تتزوج من أجل ماذا؟ وتطلق من أجل ماذا؟

العرب يحبون الأمطار كثيراً فكلمارأوا سحاباً استبشروا خيراً، زنبقة النيل الجميلة تنتظر مع المنتظرين ترقص وتغني، وقبل أن تنام بدأت أصوات الرعد ففتحت أبوابها لترى الودق، فلا ودق، السنة النيران تكاد تلامس السماء ثم دخان كثيف، ما هذا؟ ماذا حدث؟ طائرات فارة تحمل علم الشرطي الدولي؟ حينها عرفت الزنبقة أنها جريمة للقضاء على مصنع أدوية الشفاء. يا إلهي هذا جزاؤنا! التزمنا بالقرارات ضد أخوتنا من أجل أن لا يشار إلينا بالمنحرفين عن النظام العالمي الجديد، ومع ذلك لم ننج.

خرج غصن التحدي ليلاً والصقر الجريح، لا للعدوان على الزنبقة، من يمسخها مسناً، معك أيها الزنبقة، يومها عرفت الحقيقة فطارت إلينا تحدياً، ما أجملها تتحدى ويا ليت الجميع.

الغصن يسأل الأغصان: لماذا الصمت مثني وثلاث ورباع؟ هل قطعت ألسنتكم؟

لا لم تُقطع.

إذن لماذا لا تستخدمونها؟

ما بك؟ لو لم نستخدمها ما سمعت الإجابة على سؤالك، وما سمع الأعداء حديثنا في مفاوضات السلام واعترافنا بهم أبناء عمومة، ولولاها ما زغردت نساؤنا وتغنين بالنظام العالمي الجديد، وما تخاصمنا على الحدود التي بيننا.

ولماذا لا تقولون لا للحصار والعداء بين الأشقاء والعدوان عليهم؟

صمت.. صمت.. ثم حديث: من أجلكم صمتنا وسنصمت.

يا ليتكم لا تتكلمون.

ها أنت فهمت إذا كان الكلام فضة يكون السكوت ذهباً.

أي ذهب؟

الذهب الذي تزداد به أرصدتنا كل يوم في المصارف، ويزداد به اعتبارنا في المحافل الدولية.

يا إلهي وكأنه حديث فلسفة دار برأسي فلا أكاد أميز بين عبارة (زاد اعتبارنا) وعبارة (زاد احتقارنا)، وأنا في حيرة من أمري صواريخ الأعداء تهاجم بغداد والبصرة مرة ثانية وثالثة، فقلت فرصة لي للتمييز. صمت.. صمت.. تأكدت بعدها بأنه زاد اعتبارنا، خاصة بعد أن رأيت سياط البوليس على ظهور المتظاهرين الراضين للعداء ترسم خريطة الوطن الكبير بجبالها وهضابها ووديانها الجارية. هذا الصمت ذكرني بالقصة التي دارت بين الجياد الثلاثة والأسد والتي عنوانها: لازل الحصان الأبيض على قيد الحياة مع أن الأسد قد أكله.

تعيش في غابة جميلة ثلاثة جياد وأسد، مما جعل العلاقة فيها بين طرفين قويين الأسد كقوة منفردة، والجياد كقوة متحدة، ومع الزمن أصبح الصراع بينها حتمياً، خاصة وأن الأسد لم يجد صيداً غير التوجه إلى العمل على تفرقة الجياد، لينفرد بها واحداً واحداً، وذات يوم والجياد ترعى على مسافات ليست متقاربة، اتصل الأسد بالحصان الأبيض وهمس له في أذنه قائلاً: كم أحبك أيها الحصان الأبيض وأرغب أن تكون بيني وبينك صداقة، تجعل بيننا قوة في هذه الغابة، وأتعهد على ضوئها بحمايتك إلى النهاية، شريطة أن تتركني وشأني مع الحصان الأسود، وهكذا اتصل بالحصان الأحمر وقال له كم أحبك أيها الحصان الأحمر، وأريد أن تكون بيني وبينك صداقة، تجعلني أقدم إليك الحماية والرعاية ما حييت شريطة أن تتركني وشأني مع الحصان الأسود، وعندما تحصل على موافقة الجوادين، حدد ساعة الصفر، وانقض على الحصان الأسود وأكله. وبعد مدة جاء إلى الحصان الأبيض مرة ثانية، وقال له: يا صديقي العزيز أود أن أجدد وثيقتنا كصديقين من أجل حقك علي في الحماية ما دمت حياً، شريطة أن تتركني وشأني مع الحصان الأحمر. فوافق الحصان الأبيض على تجديد وثيقة الصداقة والحماية بينهما. بعدها توجه الأسد إلى الحصان الأحمر وافترسه

فكان الضحية. وبعد مدة قصيرة جاء الأسد إلى الحصان الأبيض (الصديق الوحيد) وهو ينشد:

### إذا رأيت نيوب فلا تظن أن

حينها قال الحصان الأبيض للأسد: لم يبق ما يُخيفك من أكلي، فأنا الذي قُتلت يوم أن وافقتك على أكل الحصان الأسود.

هذا مصير أغصان الزيتون واحداً واحداً إذا لم تقرر مقاطعة الصمت إلى الأبد في سبيل طرابلس وبغداد والخرطوم، وأن لا تفرق بين دولة الكويت والسعودية ودمشق، ولا تونس الخضراء ومصر العريضة اللتين فتحنا حدودهما على طرابلس كما فتحت عمّان حدودها على بغداد، وتونس ومصر وعمّان لم تقبل بسلوك جحا الذي سأله جاره أن يعيره مؤقتاً حماره ليرد عليه إلى البئر، وحبالاً ينشر عليه ملابسه، فقال جحا لسائله: حمارنا مات، والحبل نشرت عليه أمي حبيبات الحمص، وبينما السائل واقف نهق حمار جحا: فقال له ها هو ذا الحمار ينهق. فقال له جحا أنت مجنون تصدق الحمار وتكذبني يا هذا!

ابتسمت أمي وأبي ثم تعانقا وهما يقولان الحمد لله لم نكن من سكان هذه الأرض التي يعيش عليها جحا ومن هم مثله، ونظرا إليّ بنظرة لوم لقبولي العيش معهم، فقلت في خشية ولهذا نحن خطأؤون، ولكن ألا تعلمان أن الانتحار محرّم علينا، فاحتضنتني أمي وأبي، لا.. لا.. لا نقصد ما يدور في رأسك، بل نقصد لماذا القبول بالصمت على الصمت؟ الخطأ الذي وقعتم فيه هو اعتمادكم للسكوت بأنه علامة من علامات الرضا وهذا غير صحيح مما يجعل السكوت على السكوت يفهم بأنه هو أيضاً علامة رضا.

نعم إنها مفاهيم خاطئة تستوجب التغيير، وأوضاع خاطئة تستوجب التغيير.

أمُ ترقص وأبُ يغني والملائكة تصفق، والولدان المخلدون يطوفون عليهم كأنهم لؤلؤ منثور، والماء ينساب إليهم سلسيلاً والأشجار دانية عليهم بثمارها الممزوجة بضوء القمر المتحد مع نور الشمس، لوحة الحلم تتجسد

في رؤية تدلت عليها روح من السماء يصعب التصديق بها بعقول لا ترى  
نجم الخيال قد هوى يا ليتته بقي هناك جالساً أو سابحاً أو راقصاً أو شارباً.

خرجتُ لأدعو بستاني والزيتونة لرؤية ما رأيت، نظر الجميع ما  
هذا؟! بستاني لا ينظر إلي وأنا لا أنظر إليه والزيتونة كذلك، الكل ينظر إلى  
الجمال يتلألأ في أجسامهم جميعاً، أمّا نحن فلحم ودم خارج البؤرة، لامستُ  
حورية ترقص وأنا صاعد لأحييها، يا إلهي ما هذا، قطعة من الجنة في كل  
خلية من خلاياها!! وما هذا المران الذي جعلها تتدلى كما تتدلى ثمار الأشجار  
من أمهاتها، ونجمتان من النجم القطبي تكعبتا على صدرها وتدلتا!! وما هذا  
العطر الفواح! وما هذه الأجسام الاسفنجية المُضاعة!! وما هذه النظرات  
المملوءة بالود. الجميع يرقص ويغني على اليوم السرمدى الذي هم فيه،  
ولا أحد يغني على الليل حيث لا ليل لهم ولا نهار، فاليوم كل شيء عندهم،  
إنه المخلوق من اندماج ضوء القمر مع نور الشمس. الحدود التي عندنا  
والتي تفصل بين الليل والنهار عندهم منعدمة، الطيور مع الراقصين ترقص  
وتغني والغزلان الوردية مع الورود والأزهار تميد وتغني للجمال (يا سلام  
يا سلام) كما الكل يغني، ولا أحد يغني على الآخر لعدم وجوده، فلا وجود  
هناك إلا للجمال، في كلامهم جمال وفي جلوسهم جمال وفي تغنيهم وشدو  
عصافيرهم وأباريقهم وولدانهم جمال، في أنهارهم ووديانهم وغزلانهم  
جمال، وفي جمالهم الجمال.

اللغة المستخدمة واحدة، لغة قريش، والناس لا عرب ولا عجم.  
الأمومة والأبوة والأخوة والآخر غير موجودة، إنها مصادر فُرقة وهناك لا  
مكان للفرقة بين الناس ولا وجود للمناصرة والمغالبة التي كتب عنها  
عبدالرحمن بن خلدون وقرأنا عنها ومارسناها، الموجود شعور واحد متكون  
من الفرحة والسرور والبهجة والحب والامتنان والوفاء والصدق، وهذه لا  
تُفرق.



# - 10 -

هبطت وبستاني والزيتونة على المكان نفسه الذي هبط عليه أبونا وأمنا والذي أغواهما لعنه الله، كل شيء قد تغير، مياه البحار والمحيطات قد زحفت على مساحات شاسعة من اليابسة، جاري لم أجده، أين هو؟ أين بستانه؟ وأنا ألتفت هنا وهناك في حيرة واستغراب خرج تلاميذ المدارس ولا حقائب على ظهورهم ولا أدوات بين أيديهم فزاد استغرابي وحيرتي، أين أدواتكم؟

ماذا تقصد بأدواتنا يا رجل؟!

أقصد حقائبكم التي تحتوي على أدوات الدراسة والبحث كالمسطرة والمنقلة والكتب والكراسات والأقلام وغيرها.

نظروا إلى بعضهم البعض وحديث الاستغراب يملؤهم، وكأنه أتى إلينا من عصر الجاهلية الذي قرأنا عنه، فقاطعت استغرابهم بقولي لا. آمنت بالأول والآخر وبما أنزل، وآمنت بخاتم الرسل وبمن سبقه منهم، قال أحدهم حتى لا تستغرب كما نحن نستغرب من سؤالك تعال معي إلى المدرسة لترى وتعرف، قلت معك حق، ولكن أمهلني إلى يوم غد حتى أستطيع أن أبحث عن جاري ونعود إليك هنا في هذا المكان لنذهب معك إلى المدرسة لترى.

ومن هو جارك؟

أبن آدم.

ابن آدم الذي قرأنا عنه في الكتب قد مات منذ مائة عام، وأبناءً أبنائه يسكنون في تلك العمارة رقم 69 في الدور رقم 70، وغداً سنلتقي الساعة العاشرة صباحاً في هذا المكان.

إن شاء الله

إلى اللقاء.

فتحتُ باب المصعد ودخلته مع الصاعدين وحالما ضغطت على المفتاح رقم 70 وجدت نفسي أمام باب الشقة، فقال الصاعدون إلى الأدوار العليا تفضل بالنزول.

هل وصلت بهذه السرعة إلى الطابق 70؟

نعم فلا تستغرب، أشعة الليزر هي التي تنقلنا في المصاعد. خرجت من المصعد وقلت في نفسي الآن فهمت أن أشعة الليزر هي التي حملت حقائب التلاميذ وأدواتهم من المنازل إلى المدارس وهي التي تعود بها كل يوم وسأكتشف هذا الأمر على حقيقته غداً.

ضغطت على المفتاح ففتَح الباب على الفور وقُدمت لي صورتي التي التقطت لي بأشعة الليزر لحظة وقوفي أمام باب الشقة. تفضل من أنت؟ وماذا تريد؟

أنا عبدالله بن آدم، جنئت لأسأل عن أخي ابن آدم وبستانه فهل أنتم أحفاده؟

عبدالله بن آدم يسأل عن أخيه ابن آدم! نعم نحن أحفاده رحمه الله الذين ورثنا من بعده البستان وتقاسمنا أرضه مساحات فبينناها ناطحات سحاب وتقاسمناها أدواراً قسمت علينا شققاً كما أنت ترى.

يا إلهي بدأ رأسي يدور وأغمي علي فوجدت نفسي في المشفى والأطباء من حوالي وهم يرددون كلمتي: انهيار عصبي، فهزرت رأسي معترضاً لا.. لا لم يكن انهياراً عصبياً، إنه استغراب ليس إلا.

ومم تستغرب؟

من أمري، مكثُ بضع يوم في البستان العظيم يتغير كل شيء حتى الزمان الذي كنت أراهن عليه.

دعك من هذا الأمر قليلاً وانظر إلى الشاشة لنتم الفحص والتشخيص.

عندما نظرت شاهدت الطبيب الذي يتحدث بجنبي يتجول في دماغي ليخلص شبكة التذكر والتفكير عندي مما علق بها وفقاً لافتراضه، فلم يجد ما علق، خرج للتشاور مع بقية الأطباء ودخل ثانية ثم خرج، كل شيء في مكانه ولا وجود للتداخل، خرجت من المشفى في الموعد إلى المكان المحدد.  
مرحباً.

مرحباً، وذهبتنا سوياً إلى المدرسة، الطلبة جميعهم أمام الشاشات، أين المدرسون؟

المدرسون داخل الشاشات؟

أين المعامل والمختبرات؟

كلها داخل الشاشات.

ولماذا لم نكن وإياك داخل الشاشات؟

من قال لك إنك خارجها، وأخرج لي شريطاً ووضعته في الجهاز فإذا بالجهاز يعرض كل الأماكن التي زرتها والطرق التي مشيت عليها والأشخاص الذين التقيت بهم وحدثتهم مصادفة أو عمداً بمن فيهم هو في لحظة العرض هذه.

هل أجهزة الأمن تقدمت إلى هذا المستوى العلمي؟

ليست أجهزة الأمن فلا تخف، هذه أجهزة العصر، ثم أدخلني إلى غرفة علم النفس ليريني المعامل والمختبرات وليتأكد من تفكيري، طلب مني الجلوس على المقعد فجلست وإذا بكل ما أفكر فيه يكتب على الشاشة بألوان متعددة. ما هذا التقدم الرائع ومن أجل من؟!..!

من أجل الجميع.

حاولت أن أقرأ ما كُتب على الشاشة من دماغي فلم أستطع، رموز تصاحبها رسوم بيانية منحنيات صاعدة وهابطة كلها مكتوبة باللون الأخضر

واللون الظلي وقليل جداً من اللون الأصفر، نظرت تجاه الشاشة المجاورة فرأيتها مملوءة بالكتابة المشفرة والمنحنيات التكرارية وبألوان أربعة، فسألت الطالب المرافق لي هل تقرأ لي ما يَحْصني؟

نعم، نفذ الخطة التي رسمتها في دماغك ولا تتأخر فإنها تؤدي بك إلى الحياة في دولة آدم، فأمانيك ستتحقق إذا التزمت بخطتك هذه، ولكنك تحتاج إلى علاج بسيط.

هل أنا مصاب بمرض لا قدر الله؟

لا، فقط ستصاب بالزكام بعد عشرة أيام إذا لم تستخدم هذا الدواء، وأمدني بخيطين رفيعين، وقال لي أمسك بأصابعك طرفي الخيطين لتقلل الدائرة الليزرية لكي تتمكن من القضاء على فيروساتها في الدم وإلى الأبد، أمسكتهما، وقبل أن تمضي دقيقة من الوقت أخذهما وطلب مني الجلوس أمام الشاشة فلم نشاهد إلا لونين فقط هما الأخضر والظلي. فقال ها أنت قد شفيت من الأمراض التي يشير إليها اللون الزنبقي.

وإلى أي أمراض يشير؟

يشير إلى أمراض الزكام فقط.

ولماذا غلب اللون الأخضر ثم من بعده الظلي على ما كتب من دماغي؟

هذا ما ستعرفه لاحقاً فلا تقلق.

ولماذا الشاشة المجاورة مُلئت بأربعة ألوان؟

فأجاب الطفل الذي بجنبنا وهو يشير إلى الشاشة، اللون الأحمر يدل على أن الشخص الذي أخذت منه هذه القراءة سيكذب كثيراً فيما سيقوله فلا ينبغي أن يُصدّق في كل ما يقول، واللون الأزرق يدل على أنه منافق ومخادع مما يستوجب اخذ الحذر منه، واللون الأخضر لون الصدق فيه فينبغي أن يعزز، أما اللون الظلي فلا يشير إلا إلى النوم، فقلت في نفسي وبعد تنهد، الحمد لله لم تُدخلني ألوان الكذب والنفاق، وسألت الطفل: هل أنت متخصص؟

نعم منذ عامين مضياً.

وفي أية سنة يا بني أنت تدرس؟

الآن في بداية السنة السادسة من التعليم الأساسي والثالثة من التخصص.

إذن التخصص العلمي أصبح في عصركم من السنة الرابعة ابتدائي!

نعم.

مساكين أصحاب عصرنا فهم لم يتخصصوا إلا بعد ثمانية عشر عاماً من الدراسة العلمية، ويا ليتني أعرف تخصصك؟

تخصصي الرقي بالمواهب.

لم أفهم بعد!

هناك متخصصون في مجالات متعددة، فعلى سبيل المثال: هناك بعض المتخصصين في استخدامات أشعة الشمس في البسترة الصناعية، والبعض يستخدمها في تزويد وسائل النقل كالسيارات والطائرات بالطاقة الذاتية، وتزويد المنازل بالإضاءة والتدفئة بدل الغازات والكهرباء المتولدة من المحركات ومساقط المياه، والبعض الآخر متخصص في استخدام أشعة الشمس في القضاء على الأورام دون تدخل جراحي وبلا استخدامات كيميائية كما فعل الجيل الذي سبقنا في هذه المعرفة، وأنا تخصصي الرقي بمستوى هؤلاء المتخصصين إلى دراسة علم المستقبل، فعلى سبيل المثال التطلع بفكرهم إلى ما بعد الوجود كالتفكير في تجميع أشعة الشمس نهاراً في كتلة أو قرص تضاء به المدن والشوارع ليلاً بدلاً من تمريره عبر أجهزة إعادة البث، ولهذا سمي عصرنا بعصر الإشعاع، وأخي هو الآخر مثلي متخصص في تنمية مواهب المتخصصين في استخدامات ضوء القمر في تطوير قدرات الشعراء والأدباء وذوي المشاعر الرومانسية في التأليف والإبداع، واستخدامه في التخدير العام قبل إجراء العمليات الجراحية، وعلاج المهوسين وجميع أنواع أمراض الفؤاد. هذا في المجالات السلمية، أما في المجالات الحربية فقد حلت أشعة الشمس محل عمل الصواريخ والبنادق

والقنابل الذرية التي كانت تستخدم قبل سنين مضت، فاليوم تستخدم أشعة الشمس المجمععة لقتل كل الجراثيم والكائنات البشرية وغير البشرية لحظة إطلاق الإشعاع على الهدف أيا كان، كائنات أو مباني خرسانية أو أهدافاً صاروخية في الجو، وتستخدم الأشعة المبتوثة في تدمير أي هدف يستقبلها كأجهزة التلفاز والكمبيوتر، فالجهاز المرئي يستقبل الصوت والصورة وجهاز الكمبيوتر يستقبل هو الآخر المعلومة المكتوبة والمسموعة والمصورة التي من خلالها ترسل أشعة تدمير الأجهزة المستقبلية لها لحظة فتحها أو تشغيلها. هذا إلى جانب حاملات رؤوس السلام.

وما هي هذه الحاملات؟

قنابل النجوم الدوارة المحمولة على رؤوس الإشعاع الشمسي التي تصيب الهدف ولا تدمره فتحافظ عليه كما هو، ولهذا يسميها البعض بالقنابل المسالمة لأنها لا تدمر الأهداف الموجهة إليها ولكنها تجعل البشر المصابين في حالة نعاس عميق ولمدة عشر ساعات وعادة هذه لا تستخدم إلا في ضرب المدن حيث أنها تغطي مساحات كبيرة ولو فجرت خمسون قنبلة منها في وقت واحد لكان جميع سكان الكرة الأرضية في حالة نعاس تام.

يا ليت هذه الأسلحة بمختلف أنواعها كانت متوفرة لدى سكان طرابلس وبغداد والخرطوم أيام الغارات والعدوان عليها.

وكأنك تتكلم عن عمر المختار ورفاقه.

تقريباً.

إذا أردت أن تشاهدهم فعليك بدخول الفصل المجاور المتخصص في الدراسات التاريخية.

شكراً لك. وتوجهت إلى الفصل المجاور، فوجدت التلاميذ منكبين على الأجهزة المتطورة، فسألت أحدهم: لو سمحت أريد أن أعرف شيئاً عن تخصصك.

تفضل اجلس بجانبني، وبدأ يشرح ويفسر لي الخريطة التي وجدته يدرسها على الشاشة، والتي كُتِبَ عليها خريطة الأديان السماوية، فشاهدت

خريطة أفريقيا خضراء اللون ونصف خريطة أوروبا كذلك ونصف خريطة أمريكا وأستراليا وآسيا ملونة بلون خريطة أفريقيا، وألوان أخرى تملأ ما تبقى.

طلبت منه أن يفسر لي دلائل الألوان.

اللون الأخضر يدل على أماكن تواجد المسلمين، والأحمر على من لم يهتد بعد إلى دين سماوي، والأبيض على المسيحيين، والأصفر قليل جداً وهو لونا.

ومن أنتم؟

نحن اليهود..

أنتم الذين تكونت منكم دولة بني إسرائيل في فلسطين العربية؟!!

نعم وفقاً لما قرأته في التاريخ، دولة استمرت ثمانين عاماً ولم تدم، كان أجدادي من الاسرائيليين سكان حيفا ورام الله وبئر زيد والآن خرجنا منها بعد أن عمها الدين الإسلامي ولغة العرب.

الحمد لله.

أَقْفَلَ الجهاز وخرج محتجاً على فرحتي بهذا الخبر.

دنيا.. دنيا.. تُحسد فيها على فرحتك، يملؤها التعصب على حساب القيم والأخلاق، والتفتُّ إلى تلميذ آخر وطلبت منه أن يعرض لي خريطة الأديان السماوية، فطلبت منه أن يريني خريطة فلسطين، فوجدتها مدينة من مدن الشام الكبرى كدمشق وبيروت وعمّان، دخلت إلى بيت المقدس فوجدته مليئاً بالمصلين فصليت معهم دعوت الله أن يجعلني من سكان البستان العظيم مع أمي وأبي وحوار العين.

أمين.

هل أنت مسلم يا بني.

نعم مسيحي وقرأ قوله تعالى: {ما كان إبراهيم يهودياً ولا نصرانياً ولكن كان حنيفاً مسلماً وما كان من المشركين}.

الحمد لله. وقرأت عليه قوله تعالى: {قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولما يدخل الإيمان في قلوبكم وإن تطيعوا الله ورسوله}. ثم طلبت منه أن يرشدني إلى المصادر لأقرأ تاريخ نهاية دولة بني إسرائيل وقيام دولة الشام، فقال لا داعي لقراءة الكتب، كل التاريخ بإمكانك أن تراه على شاشات العلوم، ونقر بأصابعه على مفتاح الشام مدينة فلسطين، فبدأت الشاشة بعرض لوحة كبيرة كتب عليها عام 2028م عام الزحف على دولة إسرائيل، وبدأ العرض التاريخي بأيام المفاوضات، ثم أيام الشركات المشتركة والتجارة المتبادلة ثم أيام المصاهرات الاجتماعية إلى أن وصلنا إلى يوم الزحف. فسألني: ماذا تريد أن تشاهد الآن؟

أجبت: مشاهدة أيام المفاوضات.

بدأ العرض بمساعي الوسطاء والعملاء في وقت واحد، لقاءات في المقاهي العامة ولقاءات في الفنادق المؤمنة، تبادل البسمات الجافة، إعداد طاولة اللقاء العام والمقاعد متساوية، من مقاهي وفنادق النرويج وسويسرا، إلى اللقاءات الرسمية بواشنطن ومدريد وأوسلو، وهذه جميعها متزامنة مع لقاءات على أطراف الحدود وعلى الحدود وداخل الحدود. حُسن النية بدأ افتراضاً على مآدب الطعام، قبول ورفض.. قبول ورفض. ثم قبول على طاولة الاعتراف، من يعترف بمن! صراع بين الأنا والذات والضمير. قلت الظاهر حسن النية والباطن لا أدري، فقال بإمكانك أن تعرف الباطن ووضع السهم الذي يشير به على المفاتيح الآلية على رأس الرئيس ياسر عرفات ثم ضغط على المفتاح فظهرت الخريطة الباطنة، لا للاعتراف ولا للمسالمة التي تؤدي إليه ولكن ما باليد حيلة، الرحيل ضرورة ولكن الوقت غير مناسب، وإلى أن يأتي الوقت، ستكون الكلمة، وضع الأقدام أولاً والتكشير عن الأنياب ثانياً، ثم طلبت منه أن يضع السهم على رأس ننتياه وحالما وضعه ظهرت الخريطة الباطنية، أعداء إلى الأبد، الاعتراف بهم جريمة، سفك دماهم حلال، ولكنهم كثرة قنابلنا الذرية لا تقضي عليهم، أوروبا متعاطفة معهم وأمريكا ستكون كذلك في المستقبل مؤيدة لهم، الدخول إلى



المفاوضات المطولة لعله يفيد والزمن الآتي ليس في صالحنا، تركيعهم وتحجيمهم الآن ضروري قبل أن تتغير الموازين الدولية غير المضمونة.

ضع السهم من فضلك على ملف الشركات المشتركة والتجارة المتبادلة، فوضعه، يا إلهي تجارة الموالح مشتركة وتجارة الورود مشتركة والمصانع مشتركة والدكاكين مشتركة، مصالح تُبادلها مصالح، وسهرات تُبادلها سهرات، وفي مقابل ذلك الأجواء العربية منتعشة توادّ بين أهل الشام فالحدود مع بغداد غير موجودة وكذلك مع عمّان ودمشق وبيروت وفلسطين غير موجودة والعلاقات مع الشرق وأوروبا جيدة، وتوادّ بين أهل الخليج، فُتحت البوابات على مصراعيها، والعملة الموحدة تُطبع في المصارف، والعلاقات مع أمريكا والغرب جيدة، الدول العربية الافريقية كهرباء واحدة ووسائل اتصالات مشتركة ولغة الجوازات غير معتمدة بينهم واستيعاب كبير لأبناء القارة السمراء وعلاقات جيدة مع الشمال، وهذا ما كان يقرأه نتنياهو في زمانه للمستقبل، إسرائيل الابنة الوحيدة المدللة لم تعد الابنة الوحيدة، ولهذا لا داعي لتدليلها كما كانت تدلل، فطام ليس هيناً تعيشه السياسة الإسرائيلية، من الاندماج بالقوة إلى التقارب باللين. مؤشرات التاريخ تشير إلى النهاية، تلبدت أجوائهم بالخوف، لا ثقة في العرب ولا ثقة في الأوروبيين ولا في الأمريكان، ولا حل إلا المصاهرة مع العرب لكي يكون للعاطفة مجال للحركة في المستقبل، الابناء الذين فقدوا أسرهم في فلسطين ولبنان والأردن وسوريا ومصر والمتطوعون من بقية البلدان العربية رفضوا التصاهر وقبلوا بالتجارة التي تمكنهم من تحقيق الأهداف العامة.

في عام 2027م توحد الشام. وقبله بعام توحدت الجزيرة وبعده بعام قامت الدولة العربية في افريقيا. بدأ الطلاق يلاحق الطلاق والصفوف متراسة في كل الشوارع، طوفان من البشر والأيدي بلا سلاح وعند إقامة صلاة العصر كانت الحشود في البيت المقدس تصلي مع المصلين ومن يومها أصبح القدس كله مصلى للمسلمين أصحاب الديانات الثلاث تحت سيادة دولة الشام الكبير.

مجلس يتشكل على جذع الزيتون بثلاثة فروع خضراء، قرار واحد في المحافل الدولية وسيادة واحدة على التراب بالتمائل الثلاثي، أصبح للدينار

العربي رصيد موحد، بطاقات التنقل دليل إثبات الهوية لأغصان الجذع وأوراقه في الإقامة والتنقل من فرع إلى فرع، رُبِطت الأنهار الطبيعية بالأنهار الصناعية وتحولت الصحراء إلى بساتين قمح وفواكه ونخيل، السكك الحديدية تربط سبته وإمليله برأس الخيمة والمنامة ومسقط وصنعاء.

# - 11 -

والفرحة تملؤني، أود أن أعرف نظام الحكم.

بكل سرور، ونقر على المفتاح (نظام الحكم)، بعد أن سقطت أمريكا من على قمة الهرم عام 2050م، وأصبحت اليابان ولاية من الولايات المتحدة الصينية فك القيد وألغيت التبعية، فأصبحت الشورى بين الناس متيسرة، فالدساتير لا تعترف بالإنابة، والجيش تحولت إلى الإنتاج كما تحول المدرسون بعد أن حلت التقنية محلهم، فمهمة التدريس في هذا القرن لا يقوم بها إلا المبدع وتنفيذ من قبل الفنيين على أجهزة البث ثم تنشر لكي تكون بين أيدي المتعلمين والراغبين في المزيد من العلم والمعرفة على مدى الأربع والعشرين ساعة، والتعليم لا يقتصر على المدارس، بل ما يبث للمدارس يبث إلى المنازل، فمن يتعلم استخدام الأجهزة ويعرف التعامل مع لغتها لا يذهب إلى المدارس التي تيسر التعليم لمن لا يمتلك جهاز استقبال وعرض.

فروع الزيتونه كغيرها الأمر بينها شورى، كما هو شورى بين الأغصان والأوراق التي تتكون منها الزيتونه المباركة، الاختيار المباشر ألغى كل الشكوك التي في نفوس الناس، فلا صراع على السلطة الذي كان في الماضي والذي له مبررات تستوجهه، فمن لا يحكم لابد وأن يكون في المعارضة، ومن يحكم لا يعارض.

ما شاء الله أصبح الناس بخير.

وكيف كان حال حكوماتكم يا عبد الله بن آدم؟

حال الأحوال الذي غضب من (احوال) عينيه فكسر المرأة.

إن كانت قصة أرجو أن تقصها عليّ.

لا لم تكن قصة، إنها حقيقة واقعة.

هذا أفضل أخبرني من فضلك.

بكل سرور، عندما اقترب موعد الانتخابات انطلقت مجموعة شهب من الشمس لتمثلها، وبدأت تدور في المجرى الذي اندفعت إليه بقوة غضب الشمس، حتى أنها تناثرت أمام الطعون التي وجهتها لها الحكومة، وسقطت من الجولة الأولى، وتحول معظمها إلى هبولات، ولم يبق إلا واحد منها على قيد الحياة المشاهدة متحركاً في مجراه، إنه ممثل الحزب الحاكم الذي لازال متوهجاً، حتى أنه ظن نفسه بأنه الشمس، وادعى ذلك بعد أن تهيأ له ظرف الفوز في الانتخابات بدون منافس، ادعى ذلك أمام البعض الذين يخافون حرارته، وطلب منهم أن يقولوا له الحقيقة دون تزييف أو تلميع لأنه يخاف الله، وفرح الجميع، وسألوه من أنت فقال لهم أنا الشمس التي لا تغيب عن الحياة، حينها نظر البعض إلى البعض الآخر وملأتهم إشارات التعجب بعد أن كان يملؤهم الإعجاب، وحينها عرفوا الحقيقة. وذات يوم اقتربت الشمس منه تلهب المشاعر وتُبهر الأبصار، فكان خائفاً من نورها الذي تلالأت به عيون الخائفين، فسأله البعض، لماذا أنت خائف أيها الشمس؟ لماذا أنت ترتعد؟ فقال لهم في تلعثم حيث الشمس تسمعه وبصوت خافت، أنا لم أكن الشمس، فقال له الجميع نعم إنك لم تكن الشمس.

من أخبركم؟

أنت.

متى؟

يوم ادعيت بأنك الشمس، وأنت لم تكن كذلك.

ولماذا عندما قلت لكم بأنني الشمس صدقتموني؟

لكي نثبت لك بأنك كاذب. حينها غضب منهم وقال انظروا إلى وجوهكم في المرآة لتظهروا على حقيقتكم وأنا معكم أقدم نفسي، فوقف الجميع أمام المرآة وهو يتقدمهم ليشاهدوا وجوههم على حقيقتها، ولأول مرة ينظر إلى وجهه في المرآة، وعندما أمعن النظر شاهد جميع المحيطين به

عيوناً حُوراً، وشاهد نفسه أحول العينين، فغضب وسألهم عن العلاج، فأجابوه: العلاج، أن لا تغضب من الحقيقة، فقال لهم إنني أريد العلاج ولا أريد الحقيقة، فأجابوه جميعهم إذا كنت لا تُريد أن ترى الحقيقة ثانية فعليك بكسر المرأة.

أهذه حقيقة أم قصة؟

أريد أن أتأكد لو سمحت.

تفضل.

نقر على مفتاح التراث، ملف التزييف، فظهرت أمامه على الشاشة القصة بكاملها، صدقت.. صدقت بلا شك يا سيد عبدالله، وهل تتذكر الحقيقة التي بعدها؟

أية حقيقة؟

حقيقة النمر التي حُفظت في الملف نفسه، ها أنا وجدتها.

لم أتذكر.

استمع لو سمحت، ذات مرة وتلاميذ كنفشيوس بصحبته سمع وشاهد امرأة تبكي بجوار قبر، فأرسل إليها أحد مرافقيه ليسألها عن سبب بكائها وحرزنها، فأجابته قائلة: (إن والد زوجي قد فتك به نمر في هذا المكان، ثم ثنى النمر بزوجي، وها هو ذا ولدي قد لاقى المصير نفسه، ولما سألتها كنفشيوس عن سبب إصرارها على الإقامة في هذا المكان الخطر، أجابته قائلة: ليس في هذا المكان حكومة ظالمة، فالتفت كنفشيوس إلى طلابه وقال لهم: يا أبنائي تذكروا قولها هذا؛ إن الحكومة الظالمة أشد وحشية من النمر).

يا إلهي هكذا كان حالكم؟

نعم، وأكثر من ذلك، سياط البوليس والمياه المغلية الفوارة، والخصي بعد ممارسة الشذوذ مع المتهم إلى أن تثبت إدانته، ثم إلى المشانق أو الرمي بالرصاص.

مأساة.

أرجوك لا تقل مأساة حتى لا تغضب الحكومة.

أية حكومة.

حكومتكم.

حكومتنا تحرم كل ذلك بإعلانها حقوق الإنسان الذي يشارك في رسم السياسة الداخلية والخارجية وفي السلم وفي الحرب إذا دعت الضرورة إليها، والدساتير التي حدثتك عنها تضمن ذلك، فلا داعي للخوف يا سيدي عبدالله.

محظوظون أيها الذكور.

ولماذا خصصت الذكور بذلك؟

لأنني أعرف أن الأنثى لا مكان لها مع الذكور.

هذا غير صحيح.

هل حالها مثل حالكم؟

بالتمام.

إذن محظوظون أيها الذكور والإناث في زماننا كانت الأنثى تجلس على خمس عتبات، عار يجب دفنه قبل أن يمشي، أو عاهرة في المعابد، أو عورة لا سترة لها إلا البقاء في المنازل، أو متاع تباع وتشتري، أو وكأنها لم تكن أنثى. بعدها عرفنا أنها مثل آدم لم تكن قرداً متطوراً، فعاطفة الأمومة هي منبعها وعاطفة الأخوة هي سندها وعاطفة الحبيبة هي مسكنها، فلو لم تكن ما كُتِّب، فالمرأة كانت مستغلة من قبل الرجل، قرارها لم يكن بيدها بل بيد من يستغلها ولا تراهن إلا على الحظ لتنجو من الاستغلال، فحالها كحال الخروف الذي ذبح ليلاً وأصبح بخير.

لم أفهم كيف يُذبح الخروف ليلاً ويصبح بخير؟

سأروى لك قصته، حضر الضيف إلى المدينة، واتصل بصديقه من الفندق ليبلغه بوصوله، فدعا الصديق المقيم صديقه الزائر إلى وجبة الغذاء ليوم الغد، وقرر ذبح الخروف الذي اشتراه يوم أمس لهذه الضيافة، وصدر قرار ذبح الخروف ليلاً، على أن ينفذ صباحاً لتتمكن الزوجة من إعداد وجبة الغذاء في وقتها المناسب، في هذه الحالة يعد الخروف مذبوحاً وفقاً لقرار ذبحه، سواء بالنسبة إلى الخروف أو إلى مالكه، ولكن من الناحية التنفيذية لازال الخروف على قيد الحياة، وإن التنفيذ في حقيقته ما هو إلا تأكيد على اتخاذ القرار. في الصباح الباكر اتصل الصديق الزائر بصديقه يعتذر له عن عدم حضوره وجبة الغذاء التي اتفقا عليها نتيجة ظروف طارئة اضطرته إلى المغادرة في الحال. ومع أن العقل قد قرر ذبح الخروف، إلا أن الحظ جعله لازال حياً، ولهذا ذبح الخروف ليلاً وأصبح بخير نتيجة حظ وليس نتيجة محبة فيه. هكذا كان حال المرأة قرارها ليس بيدها لا تتعلم إلا كما يرى الرجل ولا تعمل إلا برأيه ولا تتزوج من ترغب إذا لم يرغب، وإذا حاولت أن تخالف الرجل في شئ هو لا يريد فحقه في هذه الحالة استخدام حق النقض Veto الذي تستخدمه الدول الكبرى ضد الدول الصغرى في مجلس الأمن كلما حاولت ممارسة الحرية بإرادة.

الحمد لله أننا تجاوزنا عصركم بالمساواة وممارسة الحرية وبالتقدم العلمي الذي يفيد الحياة.

أشكرك على المساعدة يا بني.

إلى أين؟

أشعر بصداق وألم يستوجب مني الذهاب إلى المشفى وأخذ موعد مع الطبيب.

حفظك الله، المشفى لإجراء العمليات بالإشعاع فقط، أما الكشف والتشخيص ووصف العلاج فلا يتطلب ذلك على الإطلاق.

أين يتم إذن؟

في المدرسة أو المنزل، بإمكانك أن تقابل أفضل الأطباء وفي أي وقت تشاء، وبإمكانك أن تعرض على أكثر من طبيب وفي أي مكان من العالم، ثم أخذني من يدي إلى الاستراحة على السرير فاستلقيت عليه ثم طلب مني الجلوس فجلست.

انظر إلى الشاشة ها أنت مع أكبر أطباء الصين المتخصصين في الأمراض الباطنية، تحدث.

صداع وألم في مفصل القدم.

أخلع نعليك وضع قبعة الشفاء على رأسك.

لبست قبعة الشفاء.

بماذا تشعر؟

بالارتياح.

ها أنت شفيت باستخدام الإشعاع الطبي، مع السلامة.

مع السلامة!

أقلل الجهاز وقال: أصبح الطب متوفراً في المنازل كما يتوفر الأكسوجين، فعلم الطب اليوم لم يعد حكراً على أحد، وبإمكانك أن تتعلم في منزلك من خلال استخدامك العقل الآلي المعلم الذي يعلمك كيف تتعلم نظرياً وعملياً، تجرى التجارب أمامك وتترك لك فرصة إجرائها وحتى إن أخطأت فلا ضرر، وكل خطأ تقع فيه تتعلم منه حيث أن الوقوع في الخطأ يُمكنك من تلافيه بعد إظهار النتائج المترتبة على الخطأ الذي وقعت فيه ويرشدك إلى الصواب.

المستوى الصحي عندنا أصبح ممتازاً إذا ما قورن بمستوى زمانكم وفقاً لما قرأناه عنكم، ومتوسط الأعمار التي بيد الله أصبح هو الآخر مرتفعاً إذا ما قورن بمتوسط أعمار عصركم، فمتوسط عمر الفرد عندنا 120 عاماً في الوقت الذي كان فيه عندكم 75 عاماً. لقد قضينا على السيدا والسرطان بعلم الإشعاع، وزراعة الأعضاء أصبحت في عصرنا متيسرة من الأعضاء



ذاتها سواء أكانت غدداً كالقلب والكبد وبقية الفؤاد أو كانت عظماً أو نسيجاً من خلايا الجسم خاصة بعد اكتشاف الهرمون الإشعاعي الذي يسرع بتكامل نموها في فترة لا تزيد على خمسة أيام.

والله إني قد صدقتك في كل ما قلت إلا في شئ واحد من الصعب أن أصدقك فيه.

ما هو؟

التفت يميناً وشمالاً، ثم طلبت منه أن يقفل الباب والنوافذ.

ما بك خائف؟

من التي لم أصدقك في أمرها.

قل ولا تخف.

تلك المحترمة التي تأمرت البعوضة عليها، والتي بإمكانك معرفتها من خلال استماعك إلى قصة مؤامرة بعوضة.

قصّها عليّ فأنا أنصت.

شكّل الضبع برلماناً لحكومته برئاسة الثعلب، وعضوية كل من الدجاجة والأرنب والذئب والخروف والحمار والكلب والغزالة. وعند انعقاد جلسة البرلمان الأولى، طلب رئيس المؤتمر من جميع الأعضاء، العمل من أجل سيادة الرئيس (الضبع) والحفاظ على أمنه حيث له الفضل في اختيارهم جميعاً. وقال: إن مهمتكم الأولى هي حماية الرئيس من البعوضة التي قتلت الفيل. وضربها بيد من حديد أينما حطت والثعلب لازال يتحدث عن هذا الموضوع الهام للأمة وإذ ببعوضة تحط على خده الأيمن، فتقدم الحمار مسرعاً ورفس البعوضة بقائمتيه الخلفيتين على وجه الثعلب، فأغمي عليه في حينها، ونقل على أثرها إلى المشفى، وعندما حضر رئيس جهاز الأمن زائراً السيد الثعلب رئيس البرلمان المصاب، سمعه يردد وهو في غير وعي (مؤامرة، مؤامرة). حينها ذهب مسرعاً إلى مكتبه وطلب من أجهزة الأمن التحقيق وبكل شدة في هذه المؤامرة، ثم أبلغ رئيس الدولة

بذلك والذي هو الآخر أصدر أوامر لجنوده بالسيطرة على المدينة، وإغلاق جميع الحدود وإقفال المطارات والأجواء في وجه الملاحاة الجوية، والقبض على جميع أعضاء البرلمان وأقربائهم المتأمرين. فقبضت أجهزة الأمن بداية على العضو الذي رفس رئيس البرلمان الموقر، واخذ إلى مقر التحقيق الرئيسي بمقر الرئاسة، وبدأ التحقيق الديمقراطي، وأحضرت كلاب شم الأثر للمشفى حيث جثمان الثعلب الذي وافاه الأجل المحتوم قبل وصولها إليه بدقائق، وأصدر مدير كتيبة الأنياب أوامره لأعضاء كتيبته لشم صدر جثمان الثعلب من أجل التعرف على أثر النوايا الخفية من المؤامرة، ومع أنها لم تعرف أثراً سوى أثر حافري الحمار، إلا أنها كتبت في تقريرها: إنها مؤامرة على الرئيس، تصديقاً لما قاله مديرها، وحينها لم يدل الحمار بأي معلومات غير التي حدثت. وبمقارنة تقرير كتيبة الأنياب، واعترافات الحمار. اتفق جميع رؤساء أجهزة الأمن بأنها حقيقة مؤامرة على الرئيس، وأعيد التحقيق بشكل أكثر ديمقراطية مع الحمار إلى أن اعترف بأن الهدف من قتل البعوضة هو قتل الرئيس وأن جميع أعضاء البرلمان ضالعون في هذه المؤامرة. وعندما عُرض التقرير النهائي على الرئيس قرر إلغاء البرلمان حفاظاً على الديمقراطية.

إذن أنتم المساكين الذين قرأنا عنكم في كتب التاريخ!

أعطني كوب ماء، أشعر بكبدي قد جفت.

حفظك الله، خذ.

شكراً، لا تقلق، غمة وزالت.

صوت يصيح يا عبدالله النجدة.. النجدة، فخرجت مندفعاً إلى الباب فإذا ببستاني يغمرني في حضنه ويصيح أنقذني يا عبدالله أنقذني.

مم أنقذك؟

من الوحدة التي تركتني فيها وكأنني لا أهمك في شيء.

والله لن أنسى ودك لي، ولن أنسى الحب الذي عمّر قلبينا، ولن أكل من الشجرة المحرمة حتى لا تبدي لنا سوءاتنا. لم أنسك ولن أنساك برغم

انشغالي بالنقلة التي أخذتني من الحاضر إلى المستقبل والعودة إلى حاضر غير حاضرنا لأدرس الماضي الذي تجاوز به التاريخ عنا.

هيا بنا يا حبيبي.

إلى أين؟

للبحث عن أبنائنا.

لا داعي يا حبيبي حتى لا نوصف بالمجانين وقد نفتنع بذلك ونصبح أضحوكة في عصرهم.

فلذة كبدي تفارقني ولا تعترف بي.

أعتقد ذلك، نحن قد قضينا من العمر الذي زيد فيه عن منتصف الزمن الذي بيننا بخمس سنوات والتي تساوي الزمن المنقوص عن وصولك نصف الفارق بيننا يا ابنة الخامسة والثلاثين هذا وفقاً لحساباتنا، وأبناؤنا إن وجدناهم ستجديهم شيوخاً كهولاً إن لم يكونوا من الذين آتم الله نعمته عليهم.

ماذا تقول؟ هل جننت؟ كيف تصدق نفسك ويصدقك الآخرون بأن أبنائنا كهول ونحن في مرحلة النضج المبكرة؟

عليك أن تعرفي أن بضع اليوم الذي قضيناه في البستان العظيم يساوي مائة سنة من أعمار أبنائنا، وأنت تعرفين أن هذا البضع من اليوم لم يغير فينا شيئاً.

وما أدراك أن هذا البضع يساوي مائة عام مما يعدون؟

انظري إلى ناطحات السحاب تلك، هذه يُنبت على أرض بستان جارنا رحمه الله، وإن أبنائه يسكنون في الطابق رقم 69 شقة رقم 70. و عليك بالذهاب لتسمعي وتري بأم عينيك.

هيا بنا، صعدنا بالإشعاع المحير إلى الطابق 69. لحظة دخولنا إلى المصعد. تفضلي بالنزول ها قد وصلنا.

لقد تأكد لي بأنك مجنون، المصعد لم يتحرك من مكانه بعد وتقول هيا بنا وقد وصلنا.

فتحتُ الباب تفضلي وأرجو أن لا يصيبك الاستغراب الذي أصابني لحظة دخولي شقة أحفاد المرحوم، انظري من الزجاج، أين نحن؟ نحن بحق.. وأغمي عليها قبل أن تنطق ما تود النطق به.

طرقت باب الشقة رقم 70، وبستاني بين يدي. لم يفتح الباب بالسرعة التي فُتِح بها عندما أصابتنني حالة الاستغراب تلك والتي جعلتني في المشفى، كررت المحاولة فإذا بثلاثة رجال وثلاث نساء يقبضون عليّ ويضعون المستغربة على السرير الطبي.

لماذا تضعون القيود في يدي؟!..!

بعد أن نتأكد ستتعرف لماذا. اخلع نعليك وضع قبعة استقراء المعلومات على رأسك. ظهر لهم كل ما يدور برأسي، لم يكن مجرمًا، فكثرت القيود بكل سرعة. تأسفًا عما حدث، تحبها كثيرًا.

ما أدراكم؟

ألم يكن مركز حبها قلبك، ومركز تخزين المعلومات عقلك؟ نعم.

خذ هذا الشريط الصغير لتعرف أننا قد قرأنا كل ما في عقلك من معلومات مخزنة، لك منا كل التقدير لهذا الحب الرائع، وناسف على ما حدث معك.

صحتُ حبيبتني من استغرابها في شقة أحفاد المرحوم، من أنتم؟ نحن أحفاد ابن آدم رحمه الله.

انهمرت عيناها بالدمع الملحي وتقدمت لكل واحد من الحاضرين بالعزاء وهي تقول: في هذا الصباح رحمه الله كان بخير رأيته وهو يحرق قطعة الرمان ويسقي الطيور الداجنة، بكاء وكأنه مات اليوم.

نظر البعض للبعض، هل أصابها لبس من قبل!

لا، لا تنزعجوا مجرد استغراب.

هل تعرفون أبنائي؟

من هم أبنائك؟

أبناء عبدالله ابن آدم.

لحظة من فضلك، ووضِعَ الاسم في الجهاز الآلي ونُقر على المفتاح، فإذا بشجرة السيد عبدالله ابن آدم، وعناوين أبنائه وأبناء ابنائه بين أيديهم، نعم إنهم يسكنون في مدينة الزيزفون والتي تبعد عن العاصمة 700 كم. وبإمكانكما التحدث معهم ورؤيتهم من خلال هذا الجهاز.

من فضلكم.

رجل يجيب على الجهاز، نعم من المتحدث؟

فاعل خير، يريد أن يربط بينكم وبين امرأة ورجل يقولان أنهما من أنسابكم.

أين هما؟

ها هما الجالسان على مقاعد الاستقبال.

من أنتما؟

أنا أمك مودة وأبوك عبدالله.

ها.. ها.. ها، أمي وأبي معي هنا ولم يكونا بهذين الاسمين فأنتما تبدوان في حالة من اللبس، والتفت إلى أبيه منادياً تعال يا أبي لتسمع، رجل وامرأة يدعيان بأنهما والداي وهما كما يبدو في الشاشة يساوياني في العمر إن لم يكونا أصغر مني سنًا.

لا تقفل الجهاز، من أنتما؟

أنا مودة زوجة عبدالله بن آدم.

نعم هذا اسم أمي وأبي اللذين رحلا في نزهة ولم يعودا حتى هذا اليوم. ويا ليتهما يعودان، ولكن يبدو هذا مستحيلاً.

ها نحن قد عدنا بخير يا بني العزيز.

ها.. ها.. كيف تكون أبي وأنت في سن أبنائي وأحفادي!؟

ألم أقل لك يا مودة إن الأمر ليس هيناً.

والله لا أكاد أصدق ما تراه عيناى مع أن عاطفتى تشدنى إليهما كثيراً وعاطفتى لا تخيب يا عبدالله كما أنت تعرف.

يا أبنى العزيز لا تستغرب، سأروي لك قصة النزهة التى تجاوز بها زمانكم زماننا وتجاوزت بها أعماركم أعمارنا.

ها نحن فى انتظاركما لإزالة اللبس والغموض الذى يعلق بأذهاننا وأذهانكما، وستكون الفرحة الكبرى إن كنتما مصدر حبي لأبنائى، وإن لا، فضيافتكما عندنا ثلاثة أيام، وبعد ساعة ونصف الساعة من ركوبكما القطار ستجدانى وابنى فى انتظاركما فى محطة الوصول.

ما أجمل التطور يا عبدالله.

أى تطور؟

التطور البشرى.

لا تقولى التطور البشرى حتى لا تقعى فيما وقع فيه داروين والمؤيدون له، قولى التطور العلمى والمعرفى اللذين تميز بهما هذا العصر، فالبشر هم البشر ولكن عقول المتعلمين أكثر نضجاً من عقول غيرهم، ومع ذلك لا تنسى ما رأيت لكى تستطيعى التمييز بين عصر الظلمة وعصر النور.

كلما تذكرت ما رأيت عرفت أنهم لم يؤتوا من العلم إلا قليلاً، وأعرف أن الحياة الدنيا متاع الغرور فياليتهم يعرفون.

وصلنا في الوقت المحدد للرحلة، الشيخ وابنه اللذان رأيناها في  
الشاشة ينتظران في محطة القطار.

مرحباً.. مرحباً.

والله يا عبدالله لو لم يكن أبوك رحمه الله منذ زمانٍ لقلت لك إن هذا  
الشيخ هو أبوك.

معك حق وكأنه هو، كيف حالكما والأبناء.

الكل بخير.. تفضلاً للركوب المسافة قريبة جداً.

أبي، من منكما يا ترى سيقول للآخر يا أبي؟

هذا الذي سيتحدد في منزلنا مع أنني يا بني أشعر بأنهما أمي وأبي  
عن حق.

لا يلاحقك شك في ذلك فأنا أبوك وهذه أمك. وبدأت أسرد القصة من  
ألفها إلى يائها فغمرنا بعضنا البعض عناقاً ودموع الفرحة على خدودنا لا  
أحد يتحكم فيها.

سمع الجيران بالخبر المحيّر، طُرق الباب، هل حق ما سمعنا؟

نعم إنها حقيقة ينعدم الشك فيها، تفضلوا هذه بطاقات إثبات الهوية  
والمهن التي كانا يزاوانها، وها هما جواز السفرهما اللذان كانا في محفظتهما  
ساعة النزهة.

لاشك في ذلك كل الوثائق وكأنها صادرة اليوم، ولكن الابناء شيوخ  
والوالدين في مرحلة النضج المبكرة أمر مدهش، ويا ليت آباءنا أيضاً في  
حالة نزهة.

والأمر المدهش أيضاً يا أبنائي أنني ذهبت مع أبيكم هناك وأنا بهذا  
الحمل الذي في احشائي والذي سأضعه وفق حساباتي إن شاء الله بعد ثمانية  
عشر يوماً.

هذه ليست مشكلة محيرة كما تعتقدن، المهم أنه سيسجل بتاريخ ميلاده.

هذا صحيح، ولكن من يصدق أن ابنة السابع من إبريل عام 1961 تنجب طفلاً في السابع من إبريل عام 2100م؟  
لا أحد يصدق غيري أنا وأنت يا مودة.  
أعرف ذلك يا عبدالله كما أعرف أنه أمر محير.

قال الابن الشيخ من ينظر إلى وجوهنا أو يقيس جهدنا ليس له إلا أن يقول نحن الأبوان وهما الابنان، ولكن من يتحقق من الوثائق التي كانت بصحبتهما سيعرف أنهما هما الأبوان ونحن الابنان وفقاً لتواريخ ميلادنا، فهما من مواليد الخمسينات والستينات في القرن العشرين وأنا من مواليد التسعينات من القرن نفسه، وأنتم بلا شك يا أبنائي من مواليد القرن الواحد والعشرين، والفارق أيضاً أن حياتنا كلها داخل الزمن بخيره وشره، أما هما فلم يقضيا إلا جزءاً من عمرهما داخل الزمن الذي نحت على وجوهنا علامات الكبر أكثر مما نحت على وجهيهما.

أخبرونا عن نزهتكم التي جعلت أمركما غريباً ويا ليتنا كنا معكما.

كنا في البستان العظيم ذي الألوان القزحية والأنهار العسلية والجنان الملتفة على بعضها البعض والعيون الحور والكواكب الاتراب، ولا الظل ولا الحرور، الجمال الذي تعرفونه ليس الجمال، الجمال هنا لا يتكلم وهناك ينطق بالسرور، بستان لا ينزل به إلا السابقون المقربون، تملؤه الوفرة والأرائك والنمارق المصفوفة والزرايب المبتوثة. وعندما تقارنون بين علومكم التي وصلتكم إليها حتى هذا العام 2100 م والعلم الذي يملأ البستان العظيم تجدون أنفسكم لا تعرفون إلا القليل، بستان انتزعت منه كل النواقص كالخوف والفقر والمرض والجهل والكره والحقد والتأمر والسرقعة، وكل منازل أخوة ولذا لا مكان فيها للغريب كالحكومات وممثليها وبرلماناتها ولا مكان فيه لحشرة حفار الساق اللولبية التي نخرت زيتونتنا كثيراً ولا مكان فيه للمضاربات الاقتصادية والمالية ولا حتى الزناة



والعاهرات، النجوم التي تتلألأ في سماننا انتهى زمانها يوم أن توحدت الشمس مع القمر في حلة واحدة فانتهى الليل معها والنهار المعروفان عندنا، وأصبح اليوم المتلألئ هو السائد في الولدان المخلدين وحوار العين وفي الثمار المتدلّية كل حين أنهار العسل المسكي والشراب الحلال متدفقة جنباً إلى جنب مع أنهار الألبان العطرية ولا باعة ولا مشتريين ولا ضرائب تجبى ولا حوادث مرور، ولكن هذا لا يعني أنها بلا ثمن ولكن لا يدفع هناك.

أين يدفع يا أبت؟

يدفع هنا.

لمن يدفع؟ وكيف؟

يدفع لمن ليس في حاجة إليه وله فضل عليك في خلقك وحياتك ومماتك ويوم بعثك. وإلا ألا يكون لمن خلقك حق عليك يستوجب المكافأة برد الجميل؟ والتمن ليس نقوداً أو مبادلة سلعة بسلعة الثمن لا تركع ولا تسجد لأحد سواه ولا تشرك به شيئاً، وأن تحب لنفسك ما تحب لغيرك، ولهذه سبل تستوجب الممارسة فمن يتأخر عنها يتأخر.

ما تقوله يا أبي ليس غريباً، إنه من كتاب الحكمة.

نعم إنه منه، وهكذا الجديد يتجدد كل يوم وفي كل عصر من عصور الحياة الدنيا.

# - 12 -

والله ما كنت أظن أن ما يتحدث عنه أبوك في نزهته حقيقة، كنت أشك في كل ما قيل لنا عن البستان العظيم، حتى أنني ظننته مجرد دعاية لما لا يتوقع مما جعلني غير متحمسة لدفع الثمن، ومن الآن لن أتأخر عن تأدية الواجب العظيم.

وأنا أيضا يا أختاه.

من هذه الفتاة الجميلة وهذا الفتى الجميل؟

ابنة جارنا وردة وأخوها فارس.

معكم حق لا إيمان بلا وعي فكل ما قلته لكم ومهما رحل بكم الخيال معي فإن واقع البستان العظيم أعظم، فأنا مهما شرحت لكم عن الجمال أو قصصت عليكم فإن ذوق المتعة واللذة هناك أعظم بكثير مما تتوقعون، ولأن الذوق واللذة لا ينتقلان خارج المستمتع بهما فأقول لكم من أجل كل ذلك اعملوا على مكانتكم ولا تتأخروا فأنا عامل على مكانتي.

مبروك يا جدي.

على ماذا؟

جدتي أنجبت ولداً جميلاً جداً.

ما شاء الله الحمد لله أنها سلمت.

وماذا ستسميه يا جدي؟

مؤيد. هيا بنا لزيارتها في المشفى.

حمدا لله على السلامة ما شاء الله تبارك الله، ماذا ستسمّينه يا حبيبتى  
مودة؟

(مؤيد)، إن لم تر اسماً بديلاً، هكذا قال الطبيب من خلال استقرائه  
لعلم وراثته المخ حيث قرأ مخ مولودنا وعرف من خلاله بأنك تفكر إن كان  
مولودنا ذكراً ستسميه مؤيداً، وإن كانت أنثى ستسميه قبساً.

هذا صحيح وأبلغت أحفادي بالاسم لحظة سؤالهم لي عما سنسميه بعد  
أن أخبرني بأنه مولود ذكر. أليس كذلك؟

بلى.

ولكن هل حقيقة يا أحفادي قد وصل علم الطب إلى هذا المستوى من  
التقدم أم أنني في حالة حلم وعندما أصحو منه أجد نفسي نائماً على جبل  
السراب؟

ولكن هل حقيقة يا أحفادي قد وصل علم الطب إلى هذا المستوى من  
التقدم لن نجيبك بصدق إلا إذا قلت لنا ماذا تقصد بجبل السراب!.

جبل السراب:

ذات يوم نام أحد العاملين بمجمع القمامة في مقر عمله، ومن شدة  
التعب استغرق في النوم إلى درجة أنه حلم بأنه رأى جبلاً أشم شديد الارتفاع  
وعلى رأسه علم، وعلى العلم مجموعة من النجوم المتألئة وهي تنادي في  
وسط الحشود بصوتها الجميل ورائحتها العطرة: أنا الحرية، أنا المساواة،  
وأنا العدالة الاجتماعية، وأنا.. وأنا ومعظم الحاضرين يهتفون إليها  
ويطالبونها أن تعم مناطقهم بما تتلألأ به من نور، وعندما أشرق الشمس،  
صحا العامل في الصباح ونظر إلى العلم فوجده باهتاً ونجومه باهتة ووجد  
الجبل الأشم جبلاً من القمامة، ووجد رائحة عفنة تنتشر في المدينة، فغضب  
من ليله الذي طال، وجمع كل قواه وقوى الآخرين الذين حُرِّموا من رؤية  
الحقيقة وداهم جبل القمامة بجراراته وأزاله إلى البحر، وحمد ربه على  
بزوغ الشمس التي كشفت له الحقيقة والتي لولاها ما صحا بعد من نومه  
ولولاها أيضاً لانتشرت الأمراض وتلوثت البيئة.

قصة لطيفة يا جدي، وبكل صدق نقول لك بأن علم الطب قد وصل إلى هذا المستوى من المعرفة ولن يتوقف عن المتابعة فهل اطمأن قلبك؟

قلت في نفسي لو لم تكن إجابتكما هي ما سمعته منكما لدعوت ربي ليتركني في نومي لكي لا أرى ثانية جبل القمامة الذي يصر دائماً على تلوث البيئة.

تكرهه إلى هذه الدرجة؟

وأكثر من ذلك يا أحفادي بكثير، فالذي رأى النور بعد الظلمة لا يمكن أن يقبل بها أن تتكرر، وأما الذي لم ير النور بعد، فحاله كحال الذين كرهوا الناقة فاشتروا لهم جماً.

مساكين، من هم يا جدي؟

هم المساكين الذين يخربون بيوتهم بأيديهم، وإلا كيف يقبلون بأن تُفسد الناقة زرعهم ويرضون بشراء جمل لمؤانستها؟  
ولكن هذا غير موجود على أرض الواقع.

هذا في زمانكم يا أحفادي، أما في زمان الذين سبقوكم فهذا الذي كان على أرض الواقع.

وكيف رضوا بذلك يا جدي ولم يرفضوه؟

كانت الأرجل والأيدي تُقطع من خلاف لمن لم يقبل بذلك الواقع الديمقراطي.

هكذا كانت تمارس الديمقراطية؟

نعم وأنا شاهد عيان يا أبنائي، وأعرف قصة الناقة يوم أن اشتروا لها جماً لمؤانستها.

أقصصها علينا بما أنها حقيقة.

كرهوا الناقة فاشتروا لها جماً:

استيقظ الفلاح مبكراً كعادته لتأدية مهام الفلاحة الناجحة، فوجد ناقة الحاكم ترعى في مزرعته حتى أنها عبثت بإنتاجه من الخضروات والثمار، فأخرج الناقة من المزرعة دون أن يمسه بسوء لخوفه من مالكةا، فانتقلت الناقة بعدها إلى مزرعة فلاح آخر ذهب إلى السوق لبيع إنتاجه اليومي، وحينما عاد إلى مزرعته وجد ناقة الحاكم ترعى فيها وتعبث كما عبثت بغيرها من المزارع الأخرى فأخرجها هو الآخر دون أن يمسه بسوء ولنفس النتيجة. وهكذا كان حال بقية المزارع مما جعل أصحابها من الفلاحين يلتقون ويقررون الذهاب إلى الحاكم، وكان الفلاحون جميعهم من قبيلتين من قبائل الدولة، وحتى لا يغضب الحاكم وينفرد بمعاينة قبيلة دون الأخرى أو يشكرها دون الأخرى، اتفق الطرفان على أن تقول القبيلة البائدة بالحديث مع الحاكم كلمة واحدة وهي **الناقة**، على أن تقول القبيلة الثانية كلمتين فقط هما **أفسدت مزارعنا**، بعد هذا الاتفاق ذهب الطرفان إلى الحاكم فاستقبلهما بحرارة، وقال لهما تفضلوا على الرحب والسعة. فقال الطرف الأول كلمته المتفق عليها وهي، الناقة، فقال الحاكم بصوت عال وما أصاب الناقة وعيناه تكادان تخرجان من رأسه من الغضب؟ فقال الطرف الآخر **إنها في حاجة إلى جمل يونسها**، وهذا مالم يتفق عليه. فابتسم الحاكم وشكرهم، وأصدر أوامره بشراء جمل لمؤانسة الناقة في مراعيها الحرة.

لقد عرفنا يا جدي من هذه القصة حقيقتين، حقيقة زمانهم وحقيقة العاملين عليها. ولقد انتهى ذلك الزمان ولن يعود ثانية فالأمر أصبح بيننا وليس بين الحاكم والمحكوم.

لقد انفكت عصور الظلام يا أحفادي.

وما هي تلك العصور المظلمة؟

عصر الرق الذي يباع فيه البشر ويشترون كما تباع الخراف والنعاج والبغال وبقية الدواب، وعصر الإقطاع الذي تُحاز فيه الأرض وتملك بما عليها في الوقت الذي يحرم فيه الآخرون من حق ممارسة الحرية عليها، وعصر البرجوازية التي اكتملت فيه أطوار نمو حشرة حفار الساق وانتشر فيه الاغتصاب السياسي والاقتصادي والاجتماعي، وعصر الدواوين العامرة

والعينات الممثلة للمجتمع الذي غلظت فيه عصا البوليس وأجهزة الاستخبارات، ثم عصركم الذي لا ينوب فيه أحد عن أحد، والذي سيستمر إلى ما بعدكم إن لم تنتكسوا.

هذا وفق قراءاتك للتاريخ، أمّا وفق قراءاتنا فسنستمر إلى أن يشتري ابن الأمير جبل الجليد.

وما هو هذا الجبل؟ ولماذا لا تحيلون بينه وبين ابن الأمير؟ فإذا اشتراه سنتكسون وحينها لا ينفعكم الندم.

لا تخف يا جدي، لم يكن عندنا أمير ولا ابن أمير ولكن وفقاً لقراءاتنا لتاريخ مملكة خط الاستواء التي غرقت يوم أن اشترى ابن الأمير جبلاً من الجليد ليعادل به المناخ، هكذا في اعتقادنا ستكون النهاية أيضاً بطوفان يذوب فيه الجليد ليغرقنا جميعاً ثم من بعدنا ستبلع الأرض ماءها وتكون النهاية التي من بعدها بداية جديدة.

أنتم لم تجيبوا على سؤالي بعد؟

إليك القصة يا جدي.

### **جبل الجليد:**

اشترى ابن الأمير جبلاً من الجليد وأجر شركة الناقلات الليزرية لتقله عن طريق الإشعاع الليزري من القطب الجنوبي إلى خط الاستواء بغرض معادلة المناخ وللتزحلق الرياضي فوق هضابه ومساحاته الممهدة، وصل الجبل المرفأ ليلاً، أبلغ ابن الأمير الذي جاء لاستلامه، أنيرت الأضواء، برد قارس، فرحة كبرى بعد استلام الباعة والمؤجرين الدفعة الأخيرة من ثمنه، عاد الأمير إلى القصر ليبلغ والده صاحب الجلالة، فرح هو الآخر، وطلب من مستشاريه إعداد خطبة بالمناسبة ليهنئ بها الجماهير بالإنجاز الكبير، نام ابن الأمير في فرحته فرأى نفسه أميراً على الجبل وبيده مقاليد الأمور فإذا بثعالب القطب الجنوبي تنخر الجبل لتعشش فيه وتعيده إلى مكانه، استدعى على الفور فرق المكافحة للقضاء عليها، تأخرت الفرق، فركب ابن الأمير سيارته التي يقودها السائق الأسمر، أسرع.. أسرع..

اصطدمت السيارة بالجبل فأغمي على الأمير، أنين من شدة الألم، إنعاش مركز، إصابات بالغة، بُترت اليد اليمنى للأمير كما بُترت اليد اليمنى للسائق. رُكبت اليد بكل سرعة والعملية ناجحة كما رُكبت يد السائق هي الأخرى من بعده، صحا الأمير من حالة التخدير ولم يصح السائق بعد، فوجد الأمير يده اليمنى سوداء من كتفه إلى أصابعه وفي الوقت ذاته وجد السائق الأسمر يده اليمنى بيضاء من كتفه إلى أصابعه، الأمير يصرخ كما السائق يصرخ، خطأ فني يد السائق بذراعها ركبت في كتف الأمير، ويد الأمير بذراعها ركبت في كتف السائق، آهات وصراخ من شدة الألم ومما عمل الأطباء. صحا الأمير من نومه. جلس وهو يتفقد أطرافه، اليدان متماثلتان، أين السائق..؟ أين السائق..؟

نعم سيدي.

كيف حال يدك اليمنى.

بخير.

هل بترت يدك اليمنى في الحادث كما بترت يدي اليمنى؟

أي حادث يا سيدي حفظك الله.

أعطني كوب ماء إن كبدي قد جفت.

تفضل.

هل تم القضاء على الثعالب؟

أي ثعالب يا سيدي؟

الثعالب التي حفرت جبل الجليد.

جبل الجليد قد اختفى ساعة شروق الشمس.

يا إلهي، وأين خطبة والدي؟

في جيبه ولم تصب بأذى، انهض يا سيدي الماء سيغمر اليابسة.

هذا ما فعله جبل الجليد فينا، هيا لنرحل إلى جزر الخالدات، أقلعت الطائرة بأصحاب الجلالة والفخامة والمعالي بعد أن أقفل الباب في وجه السائق عندما حاول الركوب معهم، وصلت الطائرة أجواء الجزر وفقاً للخريطة، أبلغ سائق الطائرة ركابها بأن الجزر الخالدات ليست خالدات، بعد أن غمرتها المياه هي الأخرى. طُلب منه أن يتوجه بالطائرة إلى جزر القمر، بعد ساعتين ونصف الساعة أبلغ الطيار ركابه بأن جزر القمر لا مكان لها على الأرض وفقاً للخريطة، ثم صاح الطيار الأرض جميعها قد غمرتها المياه، مأساة.. مأساة.. وهوت الطائرة في المحيط بعد أن نفذ الوقود.

إن قراءتكم ستكون صادقة لأنها منسجمة مع قوله: {أولم يروا أنا نأتي الأرض ننقصها من أطرافها}، وقوله: {يوم نطوي السماء كطي السجل للكتب}. وما سفينة نوح عليه السلام إلا آية من الآيات العظام، ومع ذلك لم تكن النهاية، صراع انتصر فيه الخير على خصمه، والنهاية في علم المستقبل يوم أن تتكمش الأرض وتطوى السماء وكأنها سترات لحجب الرؤيا عن الحقيقة، وبالطبيعة كلما نقصت الأرض من أطرافها كلما ارتفع منسوب المياه ليغمر اليابسة، ويستمر هكذا إلى النهاية.

والله إنها قراءة صائبة يا جدي فعلم الفيزياء قد أثبت هذه الحقيقة معتبراً أن الأرض كانت عبارة عن حجم ذرة أو أقل، ثم حدث لها الامتداد لحظة الانفجار العظيم إلى أن أصبحت على ما هي عليه اليوم، وأثبت أن لهذا الامتداد انكماشاً لا بد وأن يحدث.

طبعاً بما أنها كانت منكمشة ثم انبسطت بالقوة إذن بالضرورة ستعود إلى حالة الانكماش الأولى لأن القوة التي بسطتها باقية دائماً.

لقد طال حديثنا والجوع يعضني، أين جدتكم؟

لا تقل أين جدتكم، بل قل أين جداتكم!

أعني جدتكم أم مؤيد.

جدتنا مودة ذهبت مع أبناء عمنا لتتناول وجبة الغذاء معهم في مطعم الأسماك بجزيرة المرجان.



هيا بنا لنلحق بهم فأنا اشتهى السمك أيضاً.

تفضل معنا، وركبنا القارب الزجاجي الذي أقفلت أبوابه بإحكام  
وأعطيت لنا كمادات الأكسجين، وأعلن السائق بأننا متوجهون إلى مطعم  
الأسماك بجزيرة المرجان بقاع البحر. دقائق ووصلنا.

تفضلوا مرحبا بكم.

نود أن نعرف أولاً الطاولة التي حجزت باسم أم مؤيد ابنة آدم.

وضع الاسم في الجهاز فإذا برقم الطاولة وصورتها مع أبناء ابنها  
في الزاوية اليسرى.

ما هذا المطعم الزجاجي الضخم الجميل، أسماك المرجان واللؤلؤ  
يتزين بها من جميع الجوانب والأضواء المرجانية المنعكسة داخله والمبهرة  
من خارجه، فالمطعم كأنه لؤلؤة تتجسم فيها ألوان الطيف لترسم أقواس قزح  
داخله، ما أجملها، وما أجمل الجبال المغطاة بالأشجار المختلفة ألوانها  
والوديان العميقة. وبما أن الأمر هكذا إذن فلا خوف من الغرق حتى وإن  
غرقت اليابسة.

لم نعد نخاف من غرق اليابسة، بل الخوف من غرق الماء.

ولماذا الخوف من غرق الماء؟

لأنها النهاية.

# - 13 -

يا ليتها تغرق لتروا بأم أعينكم ماذا يوجد وراء الحجاب وستار  
السموات والأرض.

ماذا يوجد يا جدنا وراءها؟

يوجد أبي وأمي وإبراهيم ونوح وموسى وعيسى ومحمد جميعهم  
عليهم السلام، وغيرهم ممن قُصَّ علينا أو لم يقصص، ويوجد الجمال الذي  
رأيتُه يتكلم في عيون الحور، ورأيتُه مرتسماً في أبدانهم، ورأيتُه نوراً يجذب  
بعضهم إلى بعض، وأما المتعة فلا تسأل كل خلية تعشقها خلية وكل همسة  
تناغيها همسة، ما أجمل الولدان المخلدين، وما أجمل الودّ بين المتوادين،  
وفي عيون الحور سكينه تستوعبك وتجذبك وتناغيك من أجل أن تملأك  
فيضاً يُحلقُ بك في آفاق كل أمل ليجعلك متمسكاً به ويجعله متمسكاً بك. اليوم  
فيه حب بحب مستمر، وهكذا اللذة لا تنقطع طوال اليوم الذي لا ينقطع،  
وحلاوة الشراب يا إلهي لا تماثلها حلاوة فلا تقاس بمقاييسكم وذوقها رفيع.  
نعم إن هذا الطعام لذيذ وفقاً لمقاييس هذا الزمان، ولكنها إذا ما قورنت بالذي  
لا ينقطع تجدون ما تأكلونه لذيذاً لا بد وأن يتعفن في بطونكم وقد يؤدي بكم  
إلى التخمة، أما هناك فلا مكان للمجاري التي عَفَّت رائحتها الكريهة منازلكم  
وشوارع مدنكم، فكل كرية عفن لا مكان له هناك، هناك الأجسام تمتص  
غذاءها لذة بلذة مما جعل النور يملؤها سروراً.

يا ليتها تغرق يا جدنا، يبدو أنك كنت شاعراً أو قاصاً.

لا لم أكن ولكني أخبرتكم بما أستطيع الحديث عنه، فالأذواق لا تعرف  
إلا بمذاقاتها وأنا لم أحمل إليكم مذاقاً لتعرفوا، ولم أنقل إليكم ما رأيت بل  
أخبرتكم فقط عما رأيت والفرق كبير بين أن تروا وتتذوقوا وبين أن تُخبروا.

ياليتها تغرق بحق يا جدنا لكي نرى ونتذوق مالا ينقطع، ونتخلص من دفع الضرائب وثمان الكهرباء والماء والهاتف الذي يلاحقنا كل شهر، ونتخلص من غضب بعضنا على بعض وتآمر بعضنا ضد بعض.

ألم تقل لي يا عبدالله ذكريني بموضوع أمريكا؟

نعم والله حق يا حبيبي مودة، أود أن أسالكم هل أمريكا لازالت تحاصر طرابلس وهافانا وتدمر بغداد كما دمرت مصنع الشافي في الخرطوم؟ وهل لازالت لا تتق بالعرب وإيران والصين وفرنسا وتركيا كما لا تتق بالمسلمين على بكرة أبيهم؟

معلومات قديمة يا جدي، لقد تغيرت خريطة العالم السياسية، أمريكا التي تتحدث عنها لم تعد كذلك، العداء بينها وبين أوروبا على أشده، والعداء بينها وبين الصين وحليفاتها على أشده، وعلى عكس ما تتوقع فإن لأمريكا علاقات طيبة مع العرب بعد الخلاف الذي حدث بينهم وبين أوروبا التي تحلم بالعودة، ولعلمك إن منظمة الدول الإسلامية من أقوى المنظمات الدولية.

يبدو أن السياسة لعبة ورق، ورقة بورقة، وكل الثوابت في قواميسها مهتزة، ومع أنه لا أحد يخلو من السوابق إلا أن شهادات البراءة تعطى كل يوم لمن يتقدم بكفالة حتى وإن كانت مزورة، هكذا السياسة تجعل الذئب يرضع من الشاة وعندما يعرف أنه ذئب فلن يفترس غيرها.

والله يا عبدالله ابن آدم عندما تتكلم في السياسة لا أفهمك، حديث وكلمات لا تناغي الصدور، متحدث ومستمعون، هذه المنهجية لا أطيعها.

ماذا تريدون أن أقول ونحن على هذه اليابسة؟

حديث السرور صالح لكل مكان ولكل الأعمار فلا تيأس.

إذا أردت الحقيقة بعد أن رأيت ذلك الجمال وتحدثت معي بكل وضوح كما تحدثت معك باللغة نفسها فلا أحس بأي شيء يشدني سواه.

حتى أنا يا حبيبي؟

لا يا حبيبتى لو لم أستزرع فيك يا بستاني الحب ما تمكنت من التنزه  
في البستان العظيم حتى ولو لبرهة واحدة ولولا الوفاء الذي زرعناه بيننا ما  
تمكنا من تذوق تلك اللذة الشريفة والتي لا يمكن أن تستزرع بذورها على  
هذه الأرض.

حمداً لله ها أنت قد عدت إلى الصفا بعد أن تخلصت من الغيوم التي  
افسدت الأرض، فأنت عندما تتحدث عن السياسة لا أحس بحلاوة العسل من  
لسانك حتى أن قريني همس لي بأن أشتري لك ما يكفيك من عسل اللسان  
لو كان يباع ويشترى.

والله إنني أحبك يا أم مؤيد، وأرجو ألا تلوميني، القلب يعشق كل جميل  
فما بالك بمن عشق الجمال، فأنا أعرف أن أي تفريط فيك هو تفريط في  
البستان العظيم الذي لا يدخله إلا المحبون والعاملون عليه ولذا أنا أحبك يا  
حبيبتى.

وأنا أكثر يا حبيبي، فكلما حدثتني بلغة المودة كلما تسللت إليّ مع  
أهاتي إلى داخل صدري أحس بك في فؤادي وكأنك الأمان يملؤني، وحالما  
تدخل تسيطر على كل شئ يمكن أن ينطق أو يفكر في رغبة، وكلما رأيت  
حبات المسبحة بين يديك رأيت حلمتي ثديي بين أصابعك.

أين كنت مختفية يا حبيبتى؟

ليس لي مكان أختفي فيه سوى لسانك الذي زودني بالعسل وذفئك  
الذي أحاطني وكأنه لحاف من حرير، وبحرك الذي سبحت فيه بعد أن  
علمتني قواعد العوم.

ولكنك كنتِ تمدينني بالود دون أن ينطق لسانك.

هذا صحيح ولكن بعد أن رأيت ما رأيت هناك تعلمت وجوب التوحد  
في الحبيب سراً وعلانية.

لأول مرة لم أستطع أن أفرق بين كلام عينيك وحديث لسانك.

ألم يكن هذا من أسرار ما رأيت في تلك النزهة يا حبيبي؟

بلى، إنه منها، ولكن ألا يمكن أن يكون هناك سر آخر؟

بلى، لقد همستُ لي إحدى الحوريات قائلة: إذا أردت أن يكون لك أحور في هذا البستان فاخصي لحبيبك سراً وعلانية.

بما أن الأمر هكذا فلا تبخلي بنقل ما سمعتِ إلى بناتك وأحفادك ومن تعرفين لكي يعم الحب بين الناس، والأفضل أن تنشره في شبكة المعلومات حيث إنه حق للجميع.

ما هذه الرومانسية يا جدينا! فالود في عصركما يبدو أنه كان من الوفرة، أما في عصرنا فهو من الندرة!

كيف تقولون ذلك يا أحفادي وأنتم في عصر التطور الإشعاعي؟

ولذا لم يكن لدينا الوقت الكافي لتنمية مشاعرنا، فنحن لا نعتمد على ذاكراتنا بقدر ما نعتمد على مذكراتنا الآلية.

إذن أنتم متطورون مادياً ومتخلفون عاطفياً.

هذا صحيح، فنحن لا نستطيع التعبير بلغة واضحة عما يجول في خواطرنا كما أنتم تجيدون.

إذا كان حالكم هكذا فستفقدون خصائصكم وقد تصبحون كالدمى التي تخلو من روح التجاذب بينها نتيجة فقدانها للمشاعر والأحاسيس التي تثري روح التناغم بينها.

والله يا جدي لو كنتُ روائياً لكتبت عنك قصة بعنوان (جدي والغرام).  
وماذا تريد أن تقول فيها؟

أقول فيها ما دار من حديث ودي بينك وبين جدتي، ويا لبيتك تدلني على ما يساعطني في الكتابة ويبعث فينا الروح المفقودة.

ألم تقرأوا الشعر والنثر والبلاغة واللسانيات؟

هل هذه أقوام مثل قوم عاد وثمود؟ أم ما هي؟

أضغط على مفتاح الآداب لعلك تجد ما يفيدك أفضل مما تتوقع مني.  
لم أجد شيئاً بهذا الخصوص.

أضغط على مفتاح التراث يا ولدي.

الشعر والنثر والبلاغة واللسانيات هي علوم تنمية الذاكرة وسجل مفتوح للإبداع الفني الذي يستوعب الزمن والمحتوى، وكلها عندما تُترجم إلى إيقاعات تُغنى على السلالم الموسيقية التي تنطلق بالصامتين وتنقلهم إلى الحركات المترنة التي تحقق لهم الانسجام وتجعل لحياتهم معنى.

إنه يا جدي نص يُشوّق إلى البحث عن المزيد.

لا تتعجل يا بني، هذه علوم راقية ترتقي بالذوق والذواقين لتمكنهم من معرفة الشيء بالشيء ذاته.

ولكنها يا جدي لن تكون مثل علوم المعامل والمختبرات الإشعاعية!

نحن نتحدث يا بني عن الرقي بالذوق، فلا ينبغي أن يكون تفكيرك مثل تفكير (الكتكوت) الذي أخبرته الدجاجة الحاضنة بأنه سيخرج غداً إلى العالم الكبير، فملاّه الخوف حتى كاد أن يموت من الصراخ.

لم أفهم يا جدي ماذا تقصد.

لكي تفهم ما أقصد سأروي لك قصة مالم تفهمه: احتضنت الدجاجة بيضها بالدفء لتغرس في نفوس فراخها حنان الأمومة الذي يملؤها من احتضان أمها لها في الزمن الماضي، وقبل يوم واحد من اكتمال نضج الكتاكيت في البيض أخبرتها الدجاجة الحاضنة بأن غداً ينتظرها بخيرات كثيرة وستنتقل بقوائمها في البستان تحت ظلال الأشجار نهراً وتنام على أغصانها ليلاً، فسأل أحد الكتاكيت أمه: هل هناك عالم أوسع وأفضل من العالم الذي نحن نعيش فيه؟

نعم.

وما هو؟

عالم الحياة الواسعة بين الكتاكيت والكائنات الأخرى وفي وسط الحضائر والبساتين تقدم لكم الخدمة من أيادي البشر المفضّلين عليكم في الخلق.

إنه من الصعب التصديق يا أمي بأن المفضلين علينا هم الذين سيقدمون لنا الخدمة.

ها أنا يا أبنائي أحدثكم من العالم الواسع والعقلاء فيه هم الذين يوفرون لي الغذاء والماوى والتدفئة اللازمة للبقاء.

ولكن يصعب علينا التصديق بما أننا لا نراك وإياهم.

إنكم سترون غداً بعد خروجكم إلى عالمنا الواسع مالم يسبق لكم رؤيته، سترون الشمس والقمر والنجوم لتعرفوا المواقيت كغيركم من المخلوقات الأخرى، وستعرفون من يمشي سوياً ومن يمشي مُكباً على وجهه، وستميزون بين الطائر والزاحف كما تميزون بين اليابسة والماء، بعدها ستعرفون أن ما قلته لكم هو الحق.

نحن لا نصدق ما تقولين ولا نرغب في الخروج إلى عالمكم الذي تدعين بأنه أوسع من عالمنا الذي يملؤنا بالاستقرار كما تملؤنا الراحة والطمأنينة فيه.

أنتم وعالمكم الذي تعتقدون باتساعه كلكم في أحشائي، وأنا في هذا العالم لم نشبع نهم ثعلب.

ومن هو هذا الثعلب؟

عدوي وعدوكم.

بما أن الأمر هكذا، إذن يبدو أنك مصرة على بيعنا بلا ثمن.

لا، لم أقصد يا أبنائي، ولكن عليكم أن تعرفوا أن لكل بداية نهاية، حياتكم داخل البيضة لها بداية ونهاية، وحياتكم في عالمنا ستكون لها بداية ونهاية، ولكل أسباب، ومن بينها العداء الطبيعي بيننا وبين الثعالب.

ولهذا نحن لن نخرج حتى لا نكون تحت رحمة الثعالب وتكون لنا  
النهاية، ونحن على يقين أنه لا يمكن أن يوجد عالم أوسع وأفضل من العالم  
الذي نعيش فيه.

سيأتي غدٌ وخروجكم سيأتي إلا إذا وقعت لن.

وما هو سر لن هذه؟

أن تموتوا داخل البيض أو أن غداً لن يأتي عليّ وعليكم أو يحدث  
عالم الغيب أمراً.

في الفجر صاح الديك كعادته فاستمعت الفراخ في عالمها إلى صوته  
فتساءلت. وما هذا الصوت المدوي يا أمنا؟

صوت أبيكم يعلن عن فرحته بموعد خروجكم من زناناتكم  
الإنفرادية إلى الحياة الاجتماعية العامة ليراكم بأمر عينيه تأكلون الحب  
وتلتقطون الحشرات كما يفعل هو، وسأفرح أنا مثله.

إنه من الغرابة أن تفرحنا بخروجنا من العالم الواسع الذي لا يشاركنا  
فيه أحد إلى عالمكم الذي تشارككم فيه الثعالب.

ستخرجون بالقوة لا بالإرادة.

سنصرخ ونبكي.

الصراخ والبكاء لا يوقفان قدوم المستقبل وصراخكم هذا هو سبب  
تكسير البيض الذي يخرجكم إليه (إلى المستقبل).

صراخ.. صراخ.. يكسرّ البيض من شدة الصراخ، ما هذا النور؟

وما هذه الأرجل التي تحملنا؟ وما هذه المساحات الشاسعة؟ وما هذا  
الليل الطويل؟ ومن ذا الذي يقدم لنا الخدمة ويسهر على راحتنا؟

بكاء.. بكاء وفرحة... فرحة... صدقت يا أمنا صدقت، ولكن أين

الغذاء.



ها هو يملأ الأرض.

ولكن كيف يؤخذ؟

افعلوا مثل ما أفعل، اضربوا مناقيركم في الأرض فأنا لا أرضع.

# - 14 -

قصة لطيفة يا جدي، والحوار فيها ليس غريباً عن تفكير بعض من يتمائل تفكيره مع تفكير كتكوت، فأنا بعد أن تيقنت بأن اليوم الآخر أوسع وأعظم من يومنا هذا تيقنت أننا بني البشر في وسط هذا العالم مثل الكتكوت في وسط البيضة.

ها أنت يا بني قد عرفت الشئ بالشئ ذاته، وما عليك الآن إلا أن تتعرف على فلسفة هذه العلوم لكي تتمكن من معرفة الفرق بين علم الغيب وعلم المستقبل.

أعرف جيداً أنه لا فرق بين علم الغيب وعلم المستقبل.

لا يا ولدي، الفرق كبير، علم الغيب لا يعلمه إلا الله تعالى، أما علم المستقبل فكلنا نعلمه وفقاً لافتراضاتنا وخططنا.

استغفر الله يا جدي ما علم المستقبل إلا من علم الغيب وهذا لا يعلمه إلا الخالق سبحانه وتعالى.

يا بني لو سألتك: من أجل ماذا تأكل وتشرب وتتنفس؟ ألا تُجيبني من أجل المستقبل.

نعم لو لم أتنفس واشرب وأكل الطعام لا مستقبل لي على الإطلاق.

وإذا سألك غيري يا ولدي بقوله: لو تحكّم أحد في مشربك ومأكلك وحاول أن يمنعك من استنشاق الأكسجين فماذا تفعل؟

أقتله يا جدي قبل أن يقتلني.

لماذا؟

لكي أعيش المستقبل.

ولماذا أنت راغب في حياة المستقبل؟

أولاً: أنا نفس بريئة وقتل النفس البريئة مُحَرَّم.

ثانياً: أريد أن أفعل خيراً في هذه الحياة الدنيا لعله يفيدني في تلك الحياة الآخرة.

وثالثاً: أريد أن أتعلم وأعمل وأبني مسكناً وأتزوج ليكون لي أبناء أعلمهم وأزوجهم من بعدي.

من أجل ماذا يا بني تريد أن تعمل كل هذا؟

من أجل المستقبل.

إذن لديك خطة تستهدف بها كل ما ذكرت وأكثر.

نعم وهذا ما أمل أن أحققه في المستقبل.

ولكن هل يمكنك أن تضع خطة علمية وأنت لا علم لك بمبرراتها أو أنك لا تعلم الأهداف التي من ورائها؟

بالطبع لا.

إذن لا أهداف إلا في المستقبل، وإلا فمن أجل ماذا تصلي وتصوم وتزكى وتؤمن على ممتلكاتك؟

كل ذلك من أجل المستقبل.

إذن لو لم تعلم بأن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر وفي الزكاة طهارة للنفس وما تملك وفي الصوم سلامة للروح والبدن ما نويت القيام بها قبل أن تفعلها، وعندما تؤديها لاجزاء لك عليها إلا في المستقبل.

يبدو أن كل حياتنا هي من أجل المستقبل، ولهذا يمكننا التعرف على علم المستقبل من أوسع ميادينها إذا سعينا، وهو مثل الفرض الذي يستنبط من الموضوع ليربط العلاقة بين متغيراته، ويمكن إثباته أو بطلانه بالنتائج

المتوقعة له، فالبحوث العلمية تنطلق من فرضيات في الزمن الآن وتسعى إلى تحقيقها في الزمن المستقبل.

هذا صحيح ولذا نؤمن بأن اليوم الآخر يقع في المستقبل بما فيه من عقاب وثواب وجنة ونار ونؤمن أن علم الغيب وقع ويقع وسيقع إن شاء الله.

والله هذا صحيح، وبما أن الأمر هكذا إذن ما هو علم الغيب؟

علم الغيب لا يعلمه إلا الله، فنحن نعلم بأن الساعة آتية في المستقبل لا محالة، ولكن متى وكيف هذا علم غيب، وعندما يكون اليوم الجمعة نعلم أن غداً سيأتي السبت بالقوة مادامت الحركة الفلكية مستمرة، ومع ذلك قد لا يأتي غد السبت بالإرادة، فأنت يا بني عندما تفكر في المستقبل تعلمه وعندما تفكر في الغيب لا تعلمه مع أنك تعلم بوجوده، وعندما ترسم خطة لمستقبلك القريب أو البعيد فإنك ستوفر لها الإمكانيات التي تمكنك من تحقيقها وفقاً لعلم المستقبل ولكنك قد لا تحققها وفقاً لعلم الغيب.

جزاك الله خيراً يا جدي الآن فهمت الفرق بين العلمين، فأنا على سبيل المثال سأكتب كتاباً في المستقبل بعنوان (تواصل الحضارات)، ولكن قد لا أتمكن من تأليفه وفقاً لعلم الغيب، وهكذا حال الطبيب الذي قرر إجراء عملية إشعاعية بعد غد لمريض لإنقاذ حياته من الموت فقد لا يتمكن هو كذلك بسبب موت المريض قبل الموعد المحدد لإجراء العملية أو بموت الطبيب المخطط لذلك.

ها نحن على اتفاق مع علماء الإرساد بأن غداً سيكون الطقس معتدلاً وعلى اتفاق بأن غداً قد لا تشرق فيه الشمس علينا من جديد.

جدي، بما أن للشمس خالقاً عظيماً فلا بد أن تشرق من جديد.

معك حق، بما أنها موجودة قد تشرق على غيرنا ولا تشرق علينا، وبالضرورة لن تشرق عندما لا يُراد لها أن تشرق.

إذا أنتهت الشمس من الوجود فلا بد وأن تنتهي القمر الجميلة هي الأخرى من الوجود والتي لا أظن أن هناك أجمل منها.

خالقها أجمل.

نحن في عصرنا نحكم على ما يشاهد ولا نحكم على ما لا يشاهد. هذا غير صحيح. هل شاهدت علم الغيب وعلم المستقبل عندما استطعت أن تقارن بينهما وتؤمن بهما؟

بالطبع لا.

إذن بماذا حكمت عليها؟

بالعقل.

إذن لا تنس أن العقل الذي تحكم به بين الأشياء أو عليها لا يشاهد، وعليك أن تعرف القاعدة العلمية التي تنص على أن **المخلوق دائماً لا يرى خالقه والخالق دائماً يرى ما خلق**، ولذا نحن البشر نرى ما خلقنا، التلفاز والطائرة والباخرة والقطارات والعدسات المكبرة والمصغرة وأشعة الليزر والمقاعد والمسكن والجرة الفخارية وغيرها مما صنعنا كلها نراها وهي لا ترائنا، هكذا نحن بالنسبة إلى خالقنا. نحن المخلوقون لا يمكن أن نراه وهو يرانا، فنحن بالنسبة إليه كالجرة بالنسبة إلينا، فمتى ما نشاء نغير حال ما خلقنا أو نبدله وفقاً لعلم المستقبل، فإذا أردنا أن نكسر الجرة كسرناها وإذا أردنا إصلاحها جبرناها، وإذا أردنا المحافظة عليها حافظنا، وهكذا خالقنا إذا أرد لنا المرض مرضنا وإذا أرد لنا الشفاء شفينا، وإذا أرد لنا غير ذلك كنا، ولا تنس يا بني القاعدة العلمية التي تنص على أن **الخالق دائماً أفضل من المخلوق**، فنحن البشر كقيمة إنسانية أفضل من الجرة وأفضل مما خلقنا بأيدينا، وخالقنا دائماً أفضل منا، لأنه قادر على خلقنا وإنهائنا متى يشاء وكيفما يشاء ونحن غير قادرين على ذلك، فالخالق لا يمكن أن يخلق مثيلاً له، فالإنسان لا يمكن أن يخلق إنساناً يماثله، هذه ليست من اختصاصه ولا تتمشى مع قدراته واستعداداته إنها أرقى منه ولذلك فهي من اختصاص الخالق العظيم سبحانه وتعالى، فالذي يختص بشئ ما يمتاز به عن غيره، فالخالق الأول يمتاز بخلق كل شئ مما يشاء، ونحن متميزون بخلق بعض الأشياء وفقاً لقدراتنا واستعداداتنا المحدودة.

الآن فهمت أن وراء كل مخلوق خالقاً.

حمداً لله، هذا ما كنت أود قوله، بما أنك موجود فلا بد وأن يكون من ورائك واجد، ولو لم يكن، ما كنت وما كنا.

إذن يا جدي بما أننا ندرك أن وراء كل مخلوق خالقاً فبالضرورة أن يكون الخالق أفضل وأعظم من المخلوق وهذا يستوجب اعتراف المخلوق بفضل الخالق عليه سراً وعلانية.

ولهذا يا بني نحن نعتز بأننا نركع ونسجد لخالقنا عز وجل ولا نركع ولا نسجد لسواه، فالإنسان أحياناً قد يشعر بأنه مدين لمن يفعل له خيراً حتى من البشر، فما بالك بالذي خلقه.

إنه يستحق العبادة بحق يا جدي، والحمد لله أن الجرة التي خلقناها لا تعقل أننا الذين خلقناها حتى لا تشرك بالخالق الأول الذي لولاه ما كانت الطينة التي كانت منها الجرة والتلفاز وغيرها وما كانت طينتنا وما كنا.

أنت على صواب يا بني، والله لو لم يكن خالقنا أفضل منا ما خلقنا، ولو لم يكن كذلك ما ركعنا له ولا سجدنا، ولذا فهو يستحق العبادة.

وعليه، ألا تلاحظ يا جدي أن الخالق العظيم مسيطر بالكمال على كل مخلوقاته ونحن غير قادرين على السيطرة بالتمام على ما صنعنا؟

ماذا تقصد يا ولدي؟

الخالق الأول يا جدي إذا أراد أمر أن يكون فيكون في حينه، الزلزلة والبراكين والسحب والبرق والرعد والمرض والشفاء والموت والحياة كلها بأمره. أما نحن مع أننا نصنع مفاتيح لما صنعنا إلا أننا في كثير من الأحيان نقف عاجزين عن تدبير أمرها أو التحكم فيها، فعلى سبيل المثال لقد استخلصنا السموم من مكائنها وصنعنا السموم ضد السموم وفي كثير من الأحيان نعجز عن تفادي مخاطرها علينا.

كل ذلك بسبب أننا لم نؤت من العلم إلا قليلاً مما جعل مفاتيحنا التي نتحكم بها فيما نصنع تُصنع من العلم الناقص الذي لا يمكن أن يمكّننا من

إدراك علم الغيب حتى نكتشف أسباب القصور في مفاتيحنا عن أداء المهمة التي صنعت من أجلها.

لا إله إلا الله محمد رسول الله.

وكأنك لأول مرة تنطق بها!

نعم للمرة الأولى يا جدي ينطق بها، إنه ابن جارنا البوذي.

ماذا تقول؟!

نعم لأول مرة!

ما شاء الله، لقد فتح الله عليك بالخير يا ولدي.

لا غرابة في ذلك، الغرابة غياب الحوار بين من يؤمن وبين من لا يؤمن، وغياب مثل هذا الحوار هو الذي جعل الشك فينا وبيننا.

أستأذنكما.

إلى أين يا حفيدي؟

أريد أن أبشر جدتي مودة وكل أفراد الأسرة بأن ابن جارنا قد أسلم ثم أعود إليكما ثانية.

وقت صلاة الجمعة قد حان ستجدنا في المسجد إن شاء الله.

إن شاء الله.

حضر الجميع إلى المسجد للصلاة وتقديم التهاني، وعندما خرجوا وجدوا أفراد الأسرة البوذية ينتظرون ابنهم ونظرات الاحتجاج تملؤهم. فتقدم الخطيب قائلاً: لقد دخل ابنكم في الإسلام دون إكراه فأصبح منا، ومن اليوم لن يركع ولن يسجد لغير الله، يقول الحق ويشهد له، لا يكذب ولا يسرق ولا يزني، يتبع ما أمر الله به وينتهي عما نهى عنه، يحب الخير كل الخير للناس كما يحبه لنفسه، وإذا حكم بينهم يحكم بالعدل، الرجل والمرأة أمرهما شوري بينهما كأي أمر بين الناس سواء أكان هذا الأمر زواجاً أو طلاقاً أو سياسة

داخلية أو خارجية، الالتزام بالدستور الذي يقره الجميع واجب مثل الالتزام بالدين والعرف، ورعاية المعاق واجبة، العجزة والأيتام والمساكين والفُقصر حقوقهم بين الناس واجبة، الدفاع عن الشرف والوطن واجب، والجهاد في سبيل الله واجب، وأن يطيع والديه في كل أمر، إلا معصية الله فلا طاعة لهما عليه، ديننا معاملة طيبة فنحن لم ندعه لغير ذلك، وأن كنا على خطأ فأتونا بحجة.

بما أن أمركم هكذا والله لن تكونوا إلا على صواب، وما قام به ابننا ما هو إلا حق ويا ليتنا كنا قبله.

احتضنت الأم ابنها وهي تكفكف دموعها وعبرات الفرحة من حنجرتها تنطق: إنك على حق يا ولدي. لا إله إلا الله محمد رسول الله ﷺ .

ما أجمل دموع الفرحة يا أبا مؤيد على خدود الأم والأب والأبن والخطيب ويا ليتها لا تنقطع لكي يستمر الحب ويكون له معنى.

معك حق يا أم مؤيد، لوحة جميلة ويا ليتها لا تنقطع، دموع فرحة تحيطها بسمات الفرحين، وصوت الزغاريد مع صوت الشهادة.

أ. د. عقيل حسين عقيل

جامعة طرابلس



## صدر للمؤلف

صدر للمؤلف الدكتور عقيل حسين: 92 بحثا نشرت داخل ليبيا،  
وخارجها.

صدر له (162) مؤلفا منها: خمس موسوعات.

أشرف، وناقش 83 رسالة ماجستير، ودكتوراه.

- مجالات اهتمام المؤلف البحثية:

1 - الخدمة الاجتماعية، والتنمية البشرية.

2 - طرق البحث الاجتماعي.

3 - الفكر والسياسة.

4 - الإسلاميات.

5 - الأدب

تُرجمت ونشرت له مؤلفات باللغة الإنجليزية، والتركية.

## المؤلفات

- 1 - مستوى التحصيل العلمي بمرحلة التعليم المتوسط، طرابلس ليبيا، 1989م.
- 2 - الأصول الفلسفية لتنظيم المجتمع، منشورات جامعة طرابلس، ليبيا، 1992م.
- 3- فلسفة مناهج البحث العلمي، منشورات الجأ، 1995م.
- 4 - منهج تحليل المعلومات وتحليل المضمون، منشورات الجأ، مالطا، 1996م.
- 5 - سيادة البشر دراسة في تطور الفكر الاجتماعي، منشورات الجأ، مالطا، 1997م.
- 6 - المفاهيم العلمية دراسة في فلسفة التحليل، المؤسسة العربية للنشر وإبداع، الدار البيضاء، 1999م.
- 7 - البستان الحلم، دار الآفاق الجديدة، بيروت، 1999م.
- 8 - التصنيف القيمي للعولمة، منشورات الجأ، مالطا، 2001م.
- 9 - الديمقراطية في عصر العولمة (كسر القيد بالقيد)، دار الجأ، مالطا، 2001م.
- 10 - نشوة ذاكرة، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، 2004م.
- 11 - خماسي تحليل القيم، دار الكتاب المتحدة، بيروت، 2004م.
- 12 - منطق الحوار بين الأنا والآخر، دار الكتاب المتحدة، بيروت، 2004م.
- 13 - خدمة الفرد قيم وحدثة، دار الحكمة، 2006م.

- 14 - خدمة الجماعة رؤية قيمية معاصرة، دار الحكمة، 2006م.
- 15 - البرمجية القيمية لمهنة الخدمة الاجتماعيّة، الدار الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2007م.
- 16 - البرمجية القيمية في طريقة تنظيم المجتمع، الدار الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2007م.
- 17 - البرمجية القيمية في طريقة خدمة الجماعة، الدار الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2007م.
- 18- الموسوعة القيمية لبرمجية الخدمة الاجتماعيّة، الدار الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2007م.
- 19 - البرمجية القيمية في خدمة الفرد، الدار الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2008م.
- 20 - مفاهيم في استراتيجيات المعرفة، الدار الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2008م.
- 21 - المقدمة في أسماء الله الحسنى وأثرها في استخلاف الإنسان في الأرض، دار ابن كثير، بيروت - دمشق، 2009م.
- 22 - موسوعة أسماء الله الحسنى وأثرها في استخلاف الإنسان في الأرض، دار ابن كثير، دمشق - بيروت، 2009م.
- 23 - أستم من آل البيت، دار ابن كثير، دمشق - بيروت، 2010م.
- 24 - مختصر موسوعة أسماء الله الحسنى وأثرها في استخلاف الإنسان في الأرض، دار ابن كثير، دمشق - بيروت، 2010م.
- 25 - خطوات البحث العلمي (من تحديد المشكلة إلى تفسير النتيجة)، دار ابن كثير، دمشق - بيروت، 2010م.

- 26 - قواعد المنهج وطرق البحث العلمي، دار ابن كثير، دمشق - بيروت، 2010م.
- 27 - أسماء حُسنَى غير الأسماء الحسنَى، دار ابن كثير، دمشق - بيروت، 2010م.
- 28 - آدم من وحي القرآن، دار ابن كثير، دمشق - بيروت، 2010م.
- 29 - نوح من وحي القرآن، دار ابن كثير، دمشق - بيروت، 2010م.
- 30 - إدريس وهود وصالح من وحي القرآن، دار ابن كثير، دمشق - بيروت، 2010م.
- 31 - إبراهيم وإسحاق وإسماعيل ولوط من وحي القرآن، دار ابن كثير، دمشق - بيروت، 2010م.
- 32 - شعيب من وحي القرآن، دار ابن كثير، دمشق - بيروت، 2010م.
- 33 - يعقوب ويوسف من وحي القرآن، دار ابن كثير، دمشق - بيروت، 2010م.
- 34 - داوود وسليمان من وحي القرآن، دار ابن كثير، دمشق - بيروت، 2010م.
- 35 - يونس من وحي القرآن، دار ابن كثير، دمشق - بيروت، 2010م.
- 36 - أيوب واليسع وذو الكفل وإلياس من وحي القرآن، دار ابن كثير، دمشق - بيروت، 2010م.
- 37 - موسى من وحي القرآن، دار ابن كثير، دمشق - بيروت، 2010م.

- 38 - عيسى من وحي القرآن، دار ابن كثير، دمشق - بيروت، 2010م.
- 39 - محمّد من وحي القرآن، دار ابن كثير، دمشق - بيروت، 2010م.
- 40 - صفات الأنبياء من قصص القرآن، آدم ونوح، المجموعة الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2010م.
- 41 - صفات الأنبياء من قصص القرآن، ادريس ويعقوب ويوسف، المجموعة الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2010م.
- 42 - صفات الأنبياء من قصص القرآن، أيوب وذو الكفل واليسع والياس، المجموعة الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2010م.
- 43 - صفات الأنبياء من قصص القرآن، موسى وهارون وعيسى، المجموعة الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2010م.
- 44 - صفات الأنبياء من قصص القرآن، يونس وزكريا ويحيى، المجموعة الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2010م.
- 45 - صفات الأنبياء من قصص القرآن، إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ولوط، المجموعة الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2010م.
- 46 - صفات الأنبياء من قصص القرآن، هود وصالح وشعيب، المجموعة الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2010م.
- 47 - صفات الأنبياء من قصص القرآن، داود وسليمان، المجموعة الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2010م.
- 48 - صفات الأنبياء من قصص القرآن، النبي محمّد، المجموعة الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2010م.

- 49 - موسوعة صفات الأنبياء من قصص القرآن، المجموعة الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2010م.
- 50 - موسوعة الأنبياء من وحي القرآن، المجموعة الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2010م.
- 51 - التطرّف من التهيؤ إلى الحلّ، المجموعة الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2011م.
- 52 - ألسنا أمةً وسطاً، ابن كثير، دمشق - بيروت، 2011م.
- 53 - المنهج وطريقة تحليل المضمون، ابن كثير، دمشق - بيروت، 2011م.
- 54 - الإرهاب (بين قادحيه ومادحيه) المجموعة الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2011م.
- 55 - الخوف وآفاق المستقبل، المجموعة الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2011م.
- 56 - سنن التدافع، شركة الملتقى للطباعة والنشر، بيروت: 2011م.
- 57 - خريف السلطان (الرّحيل المتوقّع وغير المتوقّع) شركة الملتقى للطباعة والنشر، بيروت، 2011م.
- 58 - من قيم القرآن الكريم (قيم إقداميّة) شركة الملتقى للطباعة والنشر، بيروت، 2011م.
- 59 - من قيم القرآن الكريم (قيم تدبّرية) شركة الملتقى للطباعة والنشر، بيروت، 2011م.
- 60 - من قيم القرآن الكريم (قيم وثوقيّة) شركة الملتقى للطباعة والنشر، بيروت، 2011م.

- 61 - من قيم القرآن الكريم (قيم تأييدية) شركة الملتقى للطباعة  
وانشر، بيروت، 2011م.
- 62 - من قيم القرآن الكريم (قيم مناصرة) شركة الملتقى للطباعة  
وانشر، بيروت، 2011م.
- 63 - من قيم القرآن الكريم (قيم استبصارية) شركة الملتقى للطباعة  
وانشر، بيروت، 2011م.
- 64 - من قيم القرآن الكريم (قيم تحفيزية) شركة الملتقى للطباعة  
وانشر، بيروت، 2011م.
- 65 - من قيم القرآن الكريم (قيم وعظية) شركة الملتقى للطباعة  
وانشر، بيروت، 2011م.
- 66 - من قيم القرآن الكريم (قيم شواهد) شركة الملتقى للطباعة  
وانشر، بيروت، 2011م.
- 67 - من قيم القرآن (قيم مرجعية) شركة الملتقى للطباعة وانشر،  
بيروت، 2011م.
- 68 - من قيم القرآن الكريم (قيم تسليمية) شركة الملتقى للطباعة  
والنشر، بيروت، 2011م.
- 69 - من قيم القرآن الكريم (قيم تسامح)، شركة الملتقى للطباعة  
والنشر، بيروت، 2011م.
- 70 - من قيم القرآن الكريم (قيم تيقنيّة)، شركة الملتقى للطباعة  
والنشر، بيروت، 2011م.
- 71 - الرفض استشعار حرية، دار الملتقى، بيروت، 2011م.
- 72 - تفويض القيم (من التكميم إلى تفجّر الثورات)، شركة الملتقى،  
بيروت، 2011م.

- 73 - ربيع النَّاس (من الإصلاح إلى الحلّ) المجموعة الدولية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2011م.
- 74 - موسوعة القيم من القرآن الكريم، شركة الملتقى للطباعة والنشر، بيروت، 2012م
- 75 - أسرار وحقائق من زمن القذافي، المجموعة الدولية للنشر والتوزيع، القاهرة، ودار المختار طرابلس، 2013م.
- 76 - وماذا بعد القذافي؟ المجموعة الدولية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2013م.
- 77 - ثورات الربيع العربي (ماذا بعد؟) المجموعة الدولية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2013م.
- 78 - العزل السياسي بين حرمان وهيمنة، الزعيم للخدمات المكتبية والنشر، القاهرة، 2014م.
- 79 - السياسة بين خلاف واختلاف، الزعيم للخدمات المكتبية والنشر، القاهرة، 2014م.
- 80 - الهوية الوطنية بين متوقع وغير متوقع، الزعيم للخدمات المكتبية والنشر، القاهرة، 2014م.
- 81 - العفو العام والمصالحة الوطنية، الزعيم للخدمات المكتبية والنشر، القاهرة، 2014م.
- 82 - فوضى الحلّ، الزعيم للخدمات المكتبية والنشر، القاهرة، 2014م.
- 83 - بسم الله بداية ونهاية، القاهرة، الزعيم للخدمات المكتبية والنشر، 2015م.



- 84 - من معجزات الكون (خَلق - نشوء - ارتقاء)، المجموعة الدولية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2016م.
- 85 - مقدّمة الأنبياء من وحي القرآن والسنة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م
- 86 - موسوعة الأنبياء من وحي القرآن والسنة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م
- 87 - آدم من وحي القرآن والسنة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.
- 88 - إدريس من وحي القرآن والسنة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.
- 89 - نوح من وحي القرآن والسنة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م - 89
- 90 - هود من وحي القرآن والسنة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.
- 91 - صالح من وحي القرآن والسنة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.
- 92 - لوط من وحي القرآن والسنة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.
- 93 - إبراهيم من وحي القرآن والسنة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.
- 94 - إسماعيل من وحي القرآن والسنة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

- 95 - إسحاق من وحي القرآن والسنة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.
- 96 - يعقوب من وحي القرآن والسنة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.
- 97 - يوسف من وحي القرآن والسنة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.
- 98 - شعيب من وحي القرآن والسنة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.
- 99 - أيوب من وحي القرآن والسنة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.
- 100- ذو الكفل من وحي القرآن والسنة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.
- 101 - يونس من وحي القرآن والسنة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.
- 102 - موسى من وحي القرآن والسنة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.
- 103 - هارون من وحي القرآن والسنة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.
- 104 - إلياس من وحي القرآن والسنة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.
- 105 - اليسع من وحي القرآن والسنة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

- 106 - داوود من وحي القرآن والسنة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.
- 107 - سليمان من وحي القرآن والسنة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.
- 108 - زكريا من وحي القرآن والسنة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.
- 109 - يحيى من وحي القرآن والسنة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.
- 110 عيسى من وحي القرآن والسنة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.
- 111 - محمد من وحي القرآن والسنة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.
- 112 - الدعاء ومفاتيحه، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة، 2017م.
- 113 - صنع المستقبل، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م
- 114 - الفاعلون من الإرادة إلى الفعل، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م
- 115 - مبادئ التنمية البشرية، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م
- 116 - من الفكر إلى الفكر، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م
- 117 - التهيو، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م

- 118 - منابع الأمل، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م
- 119 - الأمل، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م
- 120 - المبادئ الرئيسية للسياسات الرفيعة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة، 2018م.
- 121 - تحدي الصعاب، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2018م.
- 122 - الواحدة من الخلق إلى البعث، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2018م.
- 123 - مبادئ تحدي الصعاب، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2018م.
- 124 - المعلومة الصائبة تصحح الخاطئة (من الخوف إلى الإرهاب) مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2018م.
- 125 - الممكن (متوقع وغير متوقع) مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2018م.
- 126 - مبادئ فكّ التآزّلات، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2018م.
- 127 - الأهداف المهنية ودور الأخصائي الاجتماعي، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2018م.
- 128 - تصحيحاً للمفاهيم (فاحذروا)، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2018م.
- 129 - العدل لا وسطية ولا تطرف، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2018م.

- 130 - غرس الثقة (مبدأ الخدمة الاجتماعية)، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2018م.
- 131 - مفاهيم الصلّاة والتسليم على الأنبياء، مكتبة الخانجي، القاهرة، 2018م.
- 132 - الخدمة الاجتماعية (قواعد ومبادئ قيمية) مكتبة المصرية، القاهرة، 2018م.
- 133 - كيفية استطلاع الدراسات السابقة مكتبة المصرية، القاهرة، 2018م.
- 134 - الخدمة الاجتماعية (تحليل المفهوم ودراسة الحالة) مكتبة المصرية، القاهرة، 2018م.
- 135 - الخدمة الاجتماعية (مبادي واهداف قيمية) مكتبة المصرية، القاهرة، 2018م.
- 136 - الخدمة الاجتماعية (مفاهيم مصطلحات)، مكتبة المصرية، القاهرة، 2018م.
- 137 - التنمية البشرية (كيف تتحدى الصّعاب وتصنع مستقبلاً)، مكتبة القاضي، القاهرة، 2018م.
- 138 - مبادئ الخدمة الاجتماعية (تحدي الصّعاب وإحداث النّقلة) مكتبة القاضي، والمصرية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2019.
- 139 - الإرهاب بين خائف ومخيف، مكتبة القاضي، والمصرية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2019.
- 140 - التطرّف من الإرادة إلى الفعل، مكتبة القاضي، والمصرية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2019.

- 141 \_ البحث العلمي (المنهج والطريقة) مكتبة القاضي، والمصرية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2019.
- 142 \_ العدل ينسف الظلم، مكتبة القاضي، والمصرية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2020.
- 143 \_ تقويض الإرادة، مكتبة القاضي، والمصرية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2020.
- 144 \_ القوّة تفكّ التآزّلات، مكتبة القاضي، والمصرية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2020.
- 145 \_ إحداث النُقطة تحدّي، مكتبة القاضي، والمصرية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2020.
- 146 \_ نيل المأمول قمّة، مكتبة القاضي، والمصرية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2020.
- 147 \_ نحو النظرية خلقًا، مكتبة القاضي، والمصرية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2020.
- 148 \_ نحو النظرية نشوء، مكتبة القاضي، والمصرية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2020.
- 149 \_ نحو النظرية ارتقاء، مكتبة القاضي، والمصرية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2020.
- 150 - الخلاف (في دائرة التاريخ) مكتبة القاضي، والمصرية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2020.
- 151- القواعد المنهجية للباحث الاجتماعي والقانوني، القاهرة: دار القاضي، 2220.
- 152 - قواعد البحث للعلوم الاجتماعية والإنسانية، 2020م.

- 153 - خطوات البحث العلمي وصناعة الأمل، المصرية للطباعة والنشر، القاهرة: 2021م.
- 154 - المنهج العلمي وإحداث النُّقطة، المصرية للطباعة والنشر، القاهرة: 2021م.
- 155- دراسة الحالة ودور الأخصائي الاجتماعي، المصرية للطباعة والنشر، القاهرة: 2021م.
- 156- قواعد البحث العلمي وصنع المستقبل، المصرية للطباعة والنشر، القاهرة: 2021م.
- 157- وسائل التأهب للبحث العلمي، المصرية للطباعة والنشر، القاهرة: 2021م.
- 158- حلقات صناعة المستقبل، المصرية للطباعة والنشر، القاهرة: 2021م.
- 159- أمحمدٌ أميُّ، المصرية للطباعة والنشر، القاهرة: 2021م.
- 160- طرق البحث العلمي ونيل المأمول، المصرية للطباعة والنشر، القاهرة: 2021م.
- 161- الطريقة العلمية لتحليل مضمون القيم، المصرية للطباعة والنشر، القاهرة: 2021م.
- 162- كسر الوهم، القاهرة: مكتبة القاضي، 2021م.

## المؤلف في سطور

أ.د. عقيل حسين عقيل

مواليد ليبيا 1953م

بكالوريوس آداب 1976م بدرجة الشرف الأولى جامعة الفاتح (طرابلس).

ماجستير تربية وتنمية بشرية جامعة جورج واشنطن 1981م مع درجة الشرف.

- دكتوراه في الخدمة الاجتماعية.

- أستاذ بجامعة الفاتح كلية الآداب (طرابلس).

- شغل منصب أمين تعليم بلدية طرابلس (1986 - 1990).

- انتخب من قبل مؤتمر الشعب العام مفتشا عامًا لقطاع الشؤون الاجتماعية، ثم كلف بالتفتيش على وزارتي التعليم العام والتعليم العالي 2006م.

- شغل منصب أمين التعليم العالي (وزيراً) 2007 - 2009م.

- انتخب أميناً عاماً للتنمية البشرية بأمانة مؤتمر الشعب العام 2009م.

- صدر للمؤلف 92 بحثاً نشرت داخل ليبيا وخارجها.

- صدر له (162) مؤلفاً منها خمس موسوعات.

- أشرف وناقش 83 رسالة ماجستير ودكتوراه.

- مجالات اهتمام المؤلف البحثية:

1 - الخدمة الاجتماعية والتنمية البشرية.



2 - طرق البحث الاجتماعي.

3 - الفكر والسياسة.

4 - الإسلاميات.

5 - الأدب

تُرجمت ونشرت له مؤلفات باللغة الإنجليزية والتركية.

الموقع الإلكتروني: (موقع الدكتور عقيل حسين عقيل)

أو: Dr-Aqeel.com